



عناصر الموضوع

98	مفهوم العقل
90	العقل في في الاستعمال القرآني
97	الألفاظ ذات الصلة
99	العقل نعمة
1.1	ضوابط العقل
1.4	مجالات استعمال العقل
114	ثمار استعمال العقل
140	الأثار المترتبة على إهمال العقل

مفهوم العقل

أولًا: المعنى اللغوي

أصل مادة (عقل) تدل على حُبسةٍ في الشيء أو ما يقارب الحبسة. من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل(١).

والعقل أيضًا: نقيض الجهل، يقال: عَقِلَ يعقل عقلًا فهو عاقل، والمعقول: ما تعقله في فؤادك، ويقال: هو ما يُفهم من العقل (٢).

وأصل العقل: الإمساكُ والاستمساك، كعقل البعير بالعقال، وعقل الدواء البطن (٣). قال الزبيدي: العقل هو العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها (٤). وهو مأخوذ من عقال الدابة، فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود (٥).

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي

عرفه ابن عطية بأنه: الإدراك المانع من الخطأ (١٠).

ويقول الأصفهاني: هو القوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل (٧).

«وقيل: إن العقل هو المدرك للأشياء على ما هي عليه من حقائق المعاني» (^). «وأُسمِيَ العقلُ عقلًا؛ لأنه يعقل به ما ينفعه من الخير، و ينعقل به عما يضره» (٩). فالعقل يميز به الحق والباطل، ويمنع صاحبه من ارتكاب ما يضر.

⁽٩) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٥١.



⁽١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/ ٦٩، مجمل اللغة، ابن فارس، ١/ ٦١٧.

⁽٢) انظر: العين، الفراهيدي، ١/٩٥٦، جمهرة اللغة، أبو بكر الأَزدي، ٢/ ٩٣٩، المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده المرسى،١/ ٢٠٥.

⁽٣) انظر: المفردات، الأصفهآني، ص٥٧٨.

⁽٤) انظر: تاج العروس ٣٠/ ١٨.

⁽٥) انظر: معالم التنزيل، البغوي،١/٨٨.

⁽١) انظر: المحرر الوجيز،١٧٧ ١٣٧٠.

⁽V) انظر: المفردات ص٥٧٧.

⁽٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١/ ٣٧٠.

العقل في في الاستعمال القرآني

وردت مادة (عقل) في القرآن الكريم (٤٩) مرة (١٠). والصيغ التي وردت، هي:

المثال	عدد المرات	الصيغة
﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ومِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥]	١	الفعل الماضي
﴿ ذَالِكُونَ وَصَّنكُم بِهِ - لَعَلَّكُونَ مُعَقِلُونَ ﴿ الْأَنعَامِ: ١٥١]	٤٨	الفعل المضارع

وجاء العقل في القرآن الكريم بمعنى الفهم (٢)، قال تعالى: ﴿ وَيَلْكَ ٱلْأَمْثَـٰ لُ نَصْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ٱلْعَمَالِمُونَ ﴿ العنكبوت: ٤٣].

أي: وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه (٣).

⁽١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٤٦٨ - ٤٦٩.

⁽٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٢١/ ٤٥٨، بصائر ذوي التمييز، الفيروّز آبادي ٤/ ٨٥.

⁽٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٢٧٩.

الألفاظ ذات الصلة

اللب:

اللب لغة:

«لُبُّ: لُبُّ كُلِّ شيءٍ: داخلُه، ولُبابُه أيضًا. وكذلك الخالص الخيار من كل شيءٍ»(١). «واللَّبُ: خُلاصة الشيء وقلبُه، ولُبُّ الرجل: ما جعل في قلبه من العقل. وشيءٌ لبابٌ: خالصٌ. ابن جني: هو لباب قومه، وهم لباب قومهم، وهي لباب قومها، ولبيبٌ: عاقلٌ ذو لبً»(٢). «لب: الألباب: العقول»(٣).

اللُّبُّ اصطلاحًا:

«وأطلق هنا على عقل الإنسان؛ لأنه أنفع شيء فيه، ولب الرجل: ما جعل في قلبه من العقل» (٤)، وقيل: «هو ما زكى من العقل، فكل لب عقل وليس كل عقل لُبًا» (٥).

الصلة بين العقل واللب:

كل لبيب له عقل حصيف، يعقل به خالص الأمور وأنفعها.

٢ النهي:

لنهى لغة:

«نَهَيَ: النون والهاء والياء أصلٌ صحيحٌ يدل على غاية وبلوغ» (١٠)، و «النُّهية: العقل؛ لأنه ينهى عن قبيح الفعل والجمعُ نُهى» (١٠)، وهو «الزجر عن الشيء» (١٠)، «وجُعل اسمًا للعقل الذي انتهى من المحسوسات إلى معرفة ما فيه من المعقولات» (٩).

النُّهَى اصطلاحًا:

⁽٩) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني،١/١٣٧.



⁽١) المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، ٢/ ١٥٥.

⁽٢) جمهرة اللّغة، الأزدي ١/ ٧٦، المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ١٠/ ٣٦٦، وانظر: لسان العرب، ابن منظور ١/ ٧٢٩.

⁽٣) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان الأندلسي، ١/ ٢٧٤.

⁽٤) لسان العرب، ابن متظور، ١/ ٧٢٩.

⁽٥) المفردات، الراغب الأصفهاني ص٧٣٣.

⁽٦) مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/ ٥٥٣.

⁽٧) المصدر السابق.

⁽A) المفردات، الراغب الأصفهاني ص٨٢٦.

ذكر السعدي: «النَّهي، أي: العقول السليمة والفطر المستقيمة والألباب التي تزجر أصحابها عما لا ينبغي»(١).

الصلة بين العقل والنُّهَى:

العقل والنهى مترادفان فبالعقل يُمْنَعُ الشخص عن ارتكاب المعصية، وبالنهى ينزجر وينتهى عن المحرمات والمعاصى.

٣ الججا:

الحجا لغة:

«الحاء والجيم والحرف المعتل أصلان متقاربان، أحدهما إطافة الشيء بالشيء وملازمته، والآخر القصد والتعمد»(٢)، «الحجا: الستر والعقل»($^{(*)}$ ، «حجا: مفرد، الجمع أحجاء، وأحجية: عقل وفطنة، من ذوي الحجا: ذكيٌ حكيمٌ» $^{(3)}$.

الححا اصطلاحًا:

«الحجا هو ثبات العقل من قولهم: تَحَجَّى بالمكان إذا أقام فيه»(٥).

الصلة بين العقل والحجا:

بالعقل يتم الفهم والحفظ، وبالحجة يقوى على الاستنباط وإظهار المعاني.

٤ الذهن:

الذهن لغة:

«الذال والهاء والنون أصل يدل على قوة، وهو الفطنة للشيء والحفظ له» (٦).

الذهن اصطلاحًا:

« هو قوة للنفس معدة لاكتساب العلوم، تشمل الحواس الظاهرة والباطنة» (٧٠)، وقيل: هو «قوة للنفس تشمل الحواس الظاهرة والباطنة معدة لاكتساب العلوم، وهو الاستعداد التام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر» (٨٠).

- (١) تيسير الكريم الرحمن، ص١٦٥.
- (٢) مقاييس اللغة، ابن فارس،٢/ ١٤١.
- (٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١/٩٥١.
- (٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار ١/١٥٤.
 - (٥) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص٨٥.
 - (١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٣٦٣.
 - (V) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ١٧١.
 - (٨) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص٨٥.

الصلة بين الذهن والعقل:

بالعقل والذهن يتم الفهم والحفظ وإدراك العلوم والمعارف، وذلك باشتراك الحواس الظاهرة والباطنة.

٥ الحجر:

الحجر لغة:

«الحاء والجيم والراء أصل واحد مطرد، وهو المنع والإحاطة»(١١).

الحجر اصطلاحًا:

هو «قوله تعالى لذي حجر أي: عقل ولب، فمن كان ذا عقل ولب علم، قال الحسن: لذي حجر، أي: لذي حلم. وقال أبو مالك: لذي ستر من الناس. وقال الجمهور: الحجر: العقل. قال الفراء: الكل يرجع إلى معنى واحد، لذي عقل ولذي حلم ولذي ستر، الكل بمعنى العقل. والعرب تقول: إنه لذو حجر إذا كان قاهرًا لنفسه ضابطًا لها »(٢).

الصلة بين العقل والحجر:

صاحب العقل السليم والفطرة السوية يكون ذا حِجْر، حيث يمنع صاحبه ويحجره عن الوقوع في ما لا يحل له، ولا يليق به من القبائح.

⁽٢) فتح القدير، الشوكاني، ٥ / ٥٢٨.



⁽١) مقاييس اللغة، ابن فارس،٢/ ١٣٨.

العقل نعمة

إن من أفضل نعم الله على عباده نعمة العقل، فلولا العقل لما عَرَفَ الإنسانُ دين الإسلام والنبوة، والخير والشر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر.

قال تعالى: ﴿ ﴿ وَلَقَدْ كُرَّمْنَا بَنِي عَادَمَ وَحَمَّلْنَاهُمْ فِي ٱلْمَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ ٱلطَّيِبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَغْضِيلًا الله الله على كثيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَغْضِيلًا

فاللَّهُ سبحانه وتعالى فضل بني آدم على غيرهم من الجمادات والحيوانات، والنباتات بهذا العقل.

فإذا فقد الإنسان العقل السليم الذي يقوده إلى الخير ويبعده عن الشر، فقد أصبح كالبهيمة التي تأكل وتشرب ولا تعقل شيئًا، بل إنها خيرٌ منه كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ صَكْبِيرًا مِن الْمِينَ الْمِينَ وَالْإِنسُ لَمُمْ قُلُوبٌ لِآيَهُ وَاللّهِ مِن اللّهِ مِن اللّهِ مَن اللّهُ مَا وَلَمْمُ أَعَينُ لَا يُتَعِرُونَ مِهَا وَلَمْمُ أَعَينُ لَا يُتَعِلَى كَالْأَنْفِيرِ بَلْ هُمْ أَضَلُ أَوْلَتِكَ هُمُ الْفَيْفِلُونَ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللل

قال ابن حزم: وَحَدَّ العقل ينطوي فيه فعل الطاعات والفضائل، واجتناب المعاصي والرذائل، وقد نص الله تعالى في كتابه على أن من عصاه لا يعقل.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوَكُنَّا مَسْمَعُ أَوْنَعْقِلُ مَاكُنَّافِ اللَّهِ عَلَى مَاكُنَّافِ الْمَسْفِيرِ السَّعِيرِ السَّعِيرِ السَّابِ السَّعِيرِ السَّابِ السَّعِيرِ السَّابِ السَّعِيرِ السَّابِ السَّعِيرِ السَّابِ

وَحَدُّ الحمق: استعمال المعاصي والرذائل، وهو ضد العقل، ولا واسطة بين الحمق والعقل إلا السخف (١).

وأفضل مواهب الله لعباده العقل، ولقد أحسن الذي يقول (٢٠):

أفضل قسم الله للمرء عقله

فليس من الخيرات شيء يقاربه إذا أكمل الرحمن للمرء عقله

فقد كملت أخلاقه ومآربه

يعيش الفتى في الناس بالعقل إنه

على العقل يجري علمه وتجاربه يزيد الفتى في الناس جودة عقله

وإن كان محظورًا عليه مكاسبه قال تعالى: ﴿وَمَنَ لَرَّ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُمِن نُورٍ ﴾ [النور: ٤٠].

"وقد جُعِلَ للعقل نَظَرٌ وإدراك ورؤية وإبصارٌ، وجعل له أضدادُه من العمى وغيره، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَيْهُمْ يَظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُشِيرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٨]» (٣).

«إنما العاقل من وَحَدَ الله تعالى وعمل بطاعته، وقال تعالى حكاية عن أهل النار: ﴿ لَوَ لُنَا نَسْمُ أُونَعْقِلُ مَا كُنَا فِي أَصْمَنِ السَّعِيرِ (١٠) ﴾

⁽١) انظر: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٥٨.

⁽۲) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان، ص۱۷.

⁽٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصفهاني، ص١٣٥.

[الملك: ۱۰]^(۱).

«قيل لابن المبارك: ما خير ما أُعطي الرجل؟ قال: غريزة عقل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: أدبٌ حسن، قيل: فإن لم يكن؟ قال: أخ صالح يستشيره، قيل: فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل»(٢).

وفي الصحيحين من حديث النعمان ابن بشير رضي الله عنهما: (ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، ألا وهي القلب)(٣).

فإذا آمن القلب، آمنت الجوارح بفعل المأمورات وترك المنهيات؛ لأن القلب أمير البدن، وذلك يدل دلالة واضحة على أن القلب ما كان كذلك إلا لأنه محل العقل الذي به الإدراك والفهم.

وقد حشد القرآن الكريم عشرات الآيات القرآنية الداعية إلى استعمال العقل والتفكر والتدبر في آيات الله الكونية، وآيات الله القرآنية، وجعل الله سبحانه وتعالى التفكير

فريضة إسلامية فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ اللَّهِمْ وَلَعَلَّهُمْ اللَّهِمْ وَلَعَلَّهُمْ مِنْفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

وقد خص أصحاب العقول الصافية، والقلوب النيرة أولي الألباب، وأصحاب الفطرة السليمة بهذا التفكر والتدبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَالْتَدِبِ وَالْأَرْضِ وَالْتَدِبِ اللَّهِ وَالنَّهَارِ لَاَيْنَتِ لِأُولِي ٱلْأَلْبَلِ وَالنَّهَارِ لَاَيْنَتِ لِأُولِي ٱلْأَلْبَلِ

«وخَصَّ اللهُ بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم»(٤).

والواجب علينا أن نقوم بالمحافظة عليه؛ كي يبقى سليمًا بعيدًا عن الشبهات التي تتسبب في نقص الإيمان أو انعدامه كلية، كذلك الابتعاد عن تعاطي كل ما يخامر العقل ويؤدي بالإنسان إلى ارتكاب حماقات أو جرائم هو والمجتمع في غنى عنها، عدا ذلك الأضرار الصحية وما ينجم عنها من خسائر وأضرار مادية ومعنوية تعود على الشخص وعائلته وكذلك المجتمع.

لذا فقد حدد الشارع الحكيم أمورًا لابد من الابتعاد عنها للمحافظة على العقل سليمًا منها، قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوا إِنَّمَا الْمَثَرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَرْكُمُ رِجْسُ مِّنْ عَمَلِ الْمَشْيَطُنِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ مُقْلِحُونَ ﴿ المائدة:

⁽١) المصدر السابق ص١٣٦.

 ⁽۲) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان، ص١٧.

⁽٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، فضل من استبرأ لدينه، ١/ ٢٠، رقم ٥٢، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ٣/ ١٢١٩، رقم

⁽٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص١٦١.

. [9.

ضوابط العقل

ولكن هذه الدعوة ليست مفتوحة على مصراعيها، بل وُضِع لها حدود وقيود، لابد من الأخذ بها تجنبًا للوقوع في الأخطاء، إن العقل يُسَلِّمُ بمحدودية معارفه وانحصارها في عالم الشهادة، أما عالم الغيب فلا سبيل إلى معرفته والإلمام بأسراره وخصائصه إلا بالوحي، ومن هنا أدركت العقول الصحيحة أن الإنسان في حاجة ماسة إلى الوحي الإلهي للوصول إلى المعرفة الصحيحة التعمير وخلافة الله في الأرض ومصيره في التعمير وخلافة الله في الأرض ومصيره في الأخرة، والإحساس بالحاجة إلى الوحي المعرفة، ذلك أنَّ الوحي يهدي هذه الوسائل ويصحح مسارها ويرشدها إلى الحقائق

فالعقل نعمة عظيمة وهبة كبيرة من الله عز وجل، يجب أن نشكر المولى عليها شكرًا عمليًا، وذلك بحفظ العقل مما يكدر صفوه، ويعكر فهمه، ويفسد صلاحه، ويطمس نوره، إنه أمانة يجب حفظها، وعطية يتحتم رعايتها، وذلك بالبعد عن الشبهات، والحذر من الشهوات.

إنّ حماية العقل وحراسة الفكر واجب فردي، وواجب جماعي، وواجب حكومي. يجب على الفرد أن يحمي عقله من مهاوي الردى، ودروب الزلل، ومراتع الخلل، يجب على أفراد المجتمع أن يتعاونوا على حراسة العقول، وحماية الأذهان، ورعاية الأفكار، يجب على المسؤولين أن يتقوا الله في عقول رعاياهم، فيحُولُوا بينهم وبين ما يُفسِد هذه العقول، ويشوش أذهانهم، ويطمس بصائرهم، من ويشوش أذهانهم، ويطمس بصائرهم، من كتب مضللة، وأفكار هدامة، وأفلام ماجنة، ومسلسلات هابطة، وبرامج ساخرة، وأغانٍ محرمة.

اللهم متعنا بعقولنا ما أحييتنا، اللهم عمر قلوبنا وعقولنا بحبك وطاعتك وحب من يحبك، اللهم نوِّر أبصارنا، وَزَكِّ نفوسنا، واحفظ من الزيغ أفكارنا وعقولنا، اللهم آمين.

التي لا سبيل أن يصل إليها العقل والحس بمفردهما، لا يمكن بحال أن يغني العقل عن النبوة والرسالة، وطالما أن الإنسان مُحاسَبٌ مجازى على أعماله فإن مبعث الرسل للشعوب والأمم وللخليقة أجمعين يعد واجبًا، قال تعالى: ﴿لِئَلًا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى النساء: ١٦٥].

كما يعد الوحي حقيقة لا ينكرها إلا متفلت من ضوابط العقل والحس وثوابت النقل وكُلِّ سبل المعرفة وتحصيل العلم (١). وقد حدد العلماء مجال استعمال العقل بعدد من الضوابط منها:

ان لا يتعارض مع النصوص الصحيحة. والعقل والوحي لا يتعارضان فهما متكاملان، وهما يوصلان إلى طريق واحد، وهو معرفة الله تعالى والإقرار بوحدانيته، وهو ما يَثْبُتُ بالعقل وهو ما يَثْبُتُ بالعقل وهو ما يَثْبُتُ بالعقل وهو ما يؤيده قوله تعالى: ﴿ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ إِذَا لَنَّهُ مِنْ وَلَكِهُ إِذَا لَنَّهُ مِنْ اللَّهُ إِذَا لَنَّهُ مِنْ اللَّهُ إِذَا لَنَّهُ مِنْ اللَّهُ إِذَا لَنَهُ مِنْ اللَّهُ إِذَا لَنَّهُ مِنْ اللَّهُ إِذَا لَنَّهُ مِنْ اللَّهُ إِذَا لَنَّهُ مِنْ اللَّهُ إِذَا لَنَّهُ مَا مَعْنِ مُنْ اللَّهُ عَمَّا يَصْعُونَ الله عَلَى اللَّهُ عَمَّا يَصْعُونَ اللهُ عَمَّا يَصْعُونَ الله عَلَى مَا الله عَمَّا يَشْرِكُونَ الله عَمَّا يَشْرِكُونَ الله عَلَى ما دور الوحي لنتعرف من خلاله على ما دور الوحي لنتعرف من خلاله على ما يجب لله، وما يستحيل في حقه، وما يبحب لله، وما يستحيل في حقه، وما

(۱) انظر: السنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقرآن الكريم، أبو لبابة بن الطاهر حسين، 1٦-١٤/١

يُرضيه وما يُسخطه، وكيف نعبده "(٢).

- أن لا يكون استعمال العقل في القضايا الغيبية التي يعتبر الوحي هو المصدر الصحيح والوحيد لمعرفتها.
- أن يقدم النقل على العقل في الأمور
 التي لم تتضح حكمتها، وهو ما يعرف
 بالأمور التوقيفية.

ولا شك أن احترام الإسلام للعقل وتشجيعه للنظر والفكر لا يقدمه على النصوص الشرعية الصحيحة، خاصة أن العقول متغيرة، وتختلف وتتأثر بمؤثرات كثيرة تجعلها لا تصلح لأن تكون الحكم المطلق في كل الأمور (٣).

مما سبق نجد أن الله تعالى لم يحجر على العقل، بل أمرنا بالتدبر والتفكر في آلائه سبحانه وتعالى لنزداد يقينًا وإيمانًا بوحدانيته سبحانه وبقدرته على الخلق والإيجاد والرزق والإحياء والإماتة، لكنه لم يترك المجال للعقل على مصراعيه؛ لأن العقل له قدر محدود من الفهم والإدراك خاصة في علوم الغيب التي لا يعلمها إلا الله وحده، بينما الأمور الأخرى التي



 ⁽۲) العقل في القرآن والسنة، سالم عبدالجليل،
 أبحاث ووقائع المؤتمر العام الثاني
 والعشرين، ص٩.

⁽٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١/ ٧٠.

تتعلق بأمورنا الدنيوية من مصالح مرسلة أو العمل بالقياس والاجتهاد، فسمح للعلماء المتعلمين القادرين على الاستنباط بالقيام بمثل تلك الأمور، كذلك عند تعارض النقل والعقل يقدم النقل على العقل، لأن العقل حدود معرفته وتصوره محدودة.

مجالات استعمال العقل

الله سبحانه وتعالى أكرم الإنسان وخلقه في أحسن صورة، وميزه بالعقل ليتدبر أمره ويتعرف على الكون من حوله، فالله سبحانه وتعالى لم يحجر على عقولنا بل جعل التدبر والتفكر عبادة، فهو سبيلنا للتعرف على موجد الكون بصفاته وقدرته، لكن توجد ضوابط معينة يعمل من خلالها العقل، فلا نستطيع الخوض في ذات الله سبحانه أو تأويل الصفات وتشبيهها وتمثيلها وتكييفها، فالله سبحانه هو أعلم بذاته، وهو أعلم بصفاته فنحن نمورها كما وردت، كذلك الغيبيات العقل لا يستطيع الاطلاع عليها، لذا علينا أن نستعمل عقولنا في النطاق المسموح لنا استعماله فيه بل ونؤجر على استعمالنا لعقولنا، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك على نعمة العقل.

أولًا: دلائل وحدانية الله:

خلق الله تعالى البشر لعبادته سبحانه وتعالى وإفراده وحده بهذه العبادة.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلِجِّنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعَبِدُونِ الْ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وأرسل لهم الرسل مبشرين ومنذرين، قال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِرِينَ وَمُنذِدِينَ لِنَاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةُ بُعَدَ ٱلرُّسُل ﴾

[النساء: ١٦٥].

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَّأَ إِن كُنْهُمْ تَعْقِلُونَ آنَ ﴾ [الشعراء: ٢٨].

«قال مقاتل: إن كنتم تعقلون توحيد الله»(١).

«قال موسى: إنه الرب الذي تشاهدون آثاره كل يوم، فيأتي بالشمس من المشرق، ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله، حتى يبلغها إلى المغرب على وجه نافع ينتظم به أمور الكائنات. إن كنتم تعقلون إن كان لكم عقل علمتم ألا جواب لكم فوق ذاك» (٢).

«هو الذي جعل المشرق مشرقا تطلع منه الكواكب، والمغرب مغربا تغرب فيه الكواكب، ثوابتها وسياراتها، مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقدرها، فإن كان هذا الذي يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقًا فليعكس الأمر، وليجعل المشرق مغربًا، والمغرب مشرقًا (۳).

« ﴿ إِن كُنُمُ تَمْقِلُونَ ﴾ أي إن كان لكم عقل علمكم أنه لا تمكن معرفته إلا بهذا الطريق » (٤).

« ﴿ إِن كُنْمُ مَعْقِلُونَ ﴾ أي: إن كان لكم عقول تعقلون بها ما يقال لكم، وتفهمون

- (١) التفسير البسيط، الواحدي، ١٧/ ٤٦.
- (٢) التفسير المنير، الزحيلي، ١٩٠/١٩٧.
- (٣) تفسير القرآن العظيم، أبن كثير، ٦/ ١٣٩.
 - (٤) مدارك التنزيل، النسفى، ٢/ ٥٦٠.

بها ما تسمعون مما يعين لكم؛ فلما أخبرهم موسى عليه السلام بالأمر الذي علموا أنه الحق الواضح» (٥).

«قال موسى: رب المشرق والمغرب وما بينهما وما يكون فيهما من نور وظلمة، وهذا يستوجب الإيمان به وحده إن كنتم من أهل العقل والتدبر! »(٢).

وهكذا نجد كيف تتجلى وظيفة العقل في هذه الآية، وهي الاستدلال بمظاهر قدرة الله وعظمته على توحيده وعدم الإشراك به. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُمْحِ وَيُمِيتُ وَلَهُ لَمْ تَعْقِلُونَ مَنْ اللّهِ وَالنّهَارِ أَلْلًا تَعْقِلُونَ اللّهِ اللهِ اللهِ وَالنّهَارِ أَلْلًا تَعْقِلُونَ اللهِ اللهِ مَنونَ ١٨٠].

« ﴿ أَفَلَا تَمْقِلُونِ ﴾، كنه قدرته وربوبيته و وحدانيته، وأنه لا يجوز أن يكون له شريك من خلقه، وأنه قادر على البعث (٧٧).

"﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحِي وَيُمِيتُ ﴾، أي: يحيي الموتى ويميت الأحياء. ﴿ وَلَهُ الْخَتِلَافُ الْمَاتِي وَاللّهُ اللّهِ اللّهِ ومجيء النّهار، ﴿ أَفَلَا تَمْقِلُونَ ﴾ أمر الله؟ ويقال: ﴿ أَفَلَا تَمْقِلُونَ ﴾ أمر الله؟ ويقال: ﴿ أَفَلَا تَمْقِلُونَ ﴾ توحيد ربكم فيما ترون من صنعه فتعتبرون؟ (^^).

١. دلائل الآفاق.

⁽٥) جامع البيان، الطبري، ١٩/ ٣٤٥.

⁽٦) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص ٣٦٨.

⁽V) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٢/ ١٤٤.

⁽٨) تفسير السمرقندي، ٢/ ٤٨٧.

لقد خلق الله الإنسان وميزه عن سائر المخلوقات الأرضية بالعقل، بل وأمره بعدم تعطيل هذا العقل، فأمر المكلفين بعبادة التفكر في خلق الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَفِ النَّيلِ وَالنَّهَادِ لَآيَنَتِ لِأَوْلِ الْأَلْبَثِ ﴿ اللَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِينَمَا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ رَبِّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَنْطِلًا سُبْحَنْكَ فَقِنَا عَذَابَالنَّادِ ﴿ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

«وإذا عرف بهذا البرهان قصور عقله لم يبق معه إلا الاعتراف بأن الخالق أجل من أن يحيط به وصف الواصفين ومعارف العارفين بل يسلم أن في كل ما خلقه الله تعالى حكمًا بالغة وأسرارًا عظيمة ولا سبيل له إلى معرفتها، فعند هذا يقول: ربنا ما خلقت هذا، أي: المخلوق العجيب باطلًا، أي: بغير حكمة، بل خلقته بحكمة عظيمة، -سبحانك- وهذا إقرار بعجز العقول عن الإحاطة بآثار حكمة الله تعالى في خلق السموات والأرض، أي: إن الخلق إذا تفكروا في هذه الأجسام العظيمة لم يعرفوا منها إلا هذا القدر. وهو أن خالقها ما خلقها باطلًا، بل خلقها لحكم عجيبة وأسرار عظيمة، وإن كانت العقول قاصرة عن معر فتها»^(۱).

« أخبر عن عباده الصالحين بأنهم يتفكرون في خلق السموات والأرض وما أبدع الله فيهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ويعلموا أن لهما خالقًا قادرًا مدبرًا حكيمًا؛ لأن عظم آثاره وأفعاله تدل على عظم خالقها سبحانه وتعالى، كما قيل: وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد» (٢).

ومما ذكر في القرآن الكريم من آيات دالة على التفكر في الآفاق حيث يقول تعالى:
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّكَنُوَتِ وَالْأَرْضِ وَاُخْتِلَفِ النَّيلِ وَالنَّهَادِ وَالْفُلْكِ الَّتِي جَمْدِى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّكَمَاءِ مِن مَّامِ فَأَخْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْيَهَا وَبَثَ فِيها مِن كُلِ مَا فَخْتَى اللهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْيَهَا وَبَثَ فِيها مِن كُلِ مَا أَنزَلَ اللهُ مِن السَّكَمَاءِ مِن مَا فَأَخْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْيَهَا وَبَثَ فِيها مِن كُلِ مَا السَّكَاءِ وَالسَّكَامِ النَّسَخَدِ بَيْنَ السَّكَمَاءِ وَالنَّرِي الْقَوْمِ يَعْقِلُونَ السَّكَاءِ وَالسَّكَاءِ وَالسَّكَادِ النَّسَخَدِ بَيْنَ السَّكَمَاءِ وَالنِّرِي الْقَوْمِ يَعْقِلُونَ السَّكَاءِ اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ السَّكَاءِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمَانِ اللَّهُ وَالْمَانِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْنِ السَّكَاءِ اللَّهُ وَالْمُونَ السَّكَاءِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْنِ السَّكَاءِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ السَّكَاءِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ السَّكَاءِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْنِ السَّكُولُ اللْهُ وَالْمُؤْنِ السَّكَاءِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْنِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْنِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ اللْمُؤْنَ الْمُؤْنِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ الْمُؤْنِ الْمُؤْنِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ اللْمُؤْنِ الْمُؤْنِ اللْمُؤْنِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ الْمُؤْنِ الْمُؤْنِ الْمُؤْنِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ الْمُؤْنِ الْمُؤْنِ اللْمُؤْنِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ الْمُؤْنِ اللْمُؤْنِ اللْمُؤْنِ اللَّهُ وَالْمُؤْنِ الْمُؤْنِ الْمُؤْنِ الْمُؤْنِ الْمُؤْنِ الْمِؤْنِ الْمُؤْنِ الْمُؤْ

«هذه الآيات الست الكونية أكبر برهان وأقوى دليل على وجود الله سبحانه وتعالى وعلمه وقدرته ورحمته بعباده، ولذلك هو رب العالمين وإله الأولين والآخرين، ولا رب غيره ولا إله سواه. «والحاصل، أنه كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وازداد وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات، وازداد تأمله للصنعة، وما أودع فيها من لطائف البر

⁽٢) لباب التأويل، الخازن، ١/ ٣٣٢.

⁽۱) مراح لبيد، محمد الجاوي، ١/ ١٧٦.

والحكمة، علم بذلك، أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب دلالات، على ما أخبر به الله عن نفسه و وحدانيته، وما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر، وأنها مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها. فتعرف أن العالم العلوي والسفلي كلهم إليه مفتقرون، وإليه صامدون، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا الله، ولا رب سواه (1).

«﴿ لَآيَكَتِ لِقَوْمِ يَعْقِلُونَ ﴾ ينظرون بعيون عقولهم، ويعتبرون فيستدلون بهذه الأشياء على قدرة موجدها وحكمة مبدعها ووحدانية منشئها (٢٠٠٠).

« أما قوله تعالى: ﴿لَآيَكَتِ لِقَوْمِ يَعْقِلُونَ ﴾ فإنما خص الآيات بهم الأنهم الذين يتمكنون من النظر فيه، والاستدلال به على ما يلزمهم من توحيد ربهم وعدله وحكمه ليقوموا بشكره، وما يلزم عبادته وطاعته (٣).

«علمه كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع، وردهم إلى التفكر في آياته والنظر في عجائب مصنوعاته وإتقان أفعاله ففي ذلك دليل على وحدانيته إذ لو كان في الوجود صانعان لهذه الأفعال، لاستحال

الوجود صانعان لهذه الافعال، لاستحال (۱) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي

- (٢) مدارك التنزيل، النسفى، ١٤٨/١.
- (٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ٤/ ١٧٤.

اتفاقهما على أمر واحد، ولامتنع في أفعالهما التساوي في صفة الكمال، فثبت بذاك أن خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار (٤).

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَنْهِ مَرُيكُمُ الْمَنْ مَايَنْهِ مَرْيكُمُ الْمَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَآءِ مَآءَ فَيُحْي عَلِمَ الْمُرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَآءِ مَآءَ فَيُحْي عِلْمَ الْمُرْقِضَ بَعْدَ مَوْقِهَا إِلَى فِي ذَلِكَ لَآيَنَتِ لِيهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْقِها إِلَى فِي ذَلِكَ لَآيَنتِ لِيَعْقِلُونَ السَّا ﴾ [الروم: ٢٤].

المواك في ذَالِك لَآينتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُون ﴾ يستعملون عقولهم في استنباط أسبابها وكيفية تكونها؛ ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته (٥٠).

«يقول الحق جل جلاله ﴿ وَمِنْ عَالَمْ اللهِ عَلَيْ عَالَمْ اللهِ اللهِ عَلَيْ عَالَمْ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ الله

« دلالات واضحة، وبراهين بينة، تدل على الخالق سبحانه.

ويقول تعالى: ﴿ وَالْخَيْلَافِ اللَّهِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنَوَ اللَّهِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنَزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَلُومِن رِّذْقِ فَأَحْيَا بِهِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَصَّرِيفِ ٱلرِّيْحِ ءَايَنتُ لِقَوْمِ يَعْقِلُونَ () [الجاثية: ٥].

«إن المنصفين من العباد إذا نظروا في هذه الدلائل النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة، وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا به، وأقروا أنه الإله القادر على كل شيء،

- (٤) لباب التأويل، الخازن،١/ ٩٩.
- (٥) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ٤/ ٥٠٠.
 - (١) البحر المديد، ابن عجيبة، ٤/ ٣٣٤.

ثم إذا أمعنوا النظر ازدادوا إيقانًا وزال عنهم اللبس، فحينئذ استحكم علمهم وعدوا في زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده في أسرار كتابه »(١).

«﴿ اَلِنَتُ لِغَوْمِ يَمْقِلُونَ ﴿ ثَلَقَ مَالِئَتُ اللَّهِ ﴾ ﴿ يَلُّكَ مَالِئَتُ اللَّهِ ﴾ ﴿ يَلُّكَ مَالِئَتُ اللَّهِ ﴾ يعني: هذه دلائل الله، وعلامة وحدانيته ﴾ (٢).

التفكر في خلق الله عبادة، لابد لنا من القيام بها لنزداد إيمانًا مع إيماننا، بل ونصل لدرجة اليقين، كذلك نستشعر عظمة الله سبحانه وقدرته و وحدانيته، فهو إله واحد بلا شريك، مدبر للكون بلا قصور.

٢. دلائل النفس.

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالنظر والتفكر في أنفسنا، كيف خلقنا الله من العدم فبدأ بخلقنا من الطين، ثم جعل الخلق بعد ذلك من نطفة، ثم خلق النطفة علقة، وخلق العلقة مضغة، ثم خلقها عظامًا، وكساها بعد ذلك لحمًا، ثم تدرج في الخلق وبعد حين أماته، وهذه دلائل قدرته سبحانه على الإيجاد والإماتة، ليختبرنا ماذا سنفعل في هذه الحياة الدنيا.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدُ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن سُلَالَة مِن طِينِ ﴿ اللَّهِ مُمَّ جَعَلْنَهُ نُطْفَةً فِي قَرَادٍ مُلَكِنةٍ مِن طِينِ ﴿ اللَّهُ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا مُكِينٍ ﴿ اللَّهُ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا

الْمُلَقَةُ مُضْفَحَةً فَخَلَقْنَ الْمُضْفَةَ عِظْمَا فَكَسَوْنَا الْمُضْفَةَ عِظْمَا فَكَسَوْنَا الْمِطْدَر لَحَمًا ثُمَّ أَنشَأْنَهُ خَلَقًا ءَاخَرً فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَلِقِينَ اللَّ مُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ اللَّهُ الْمَانِ اللهِ مَنون: ١٢-١٥].

« هذا شروع في الاستدلال على انفراد الله تعالى بالخلق وبعظيم القدرة التي لا يشاركه فيها غيره، وعلى أن الإنسان مربوب لله تعالى وحده، والاعتبار بما في خلق الإنسان وغيره من دلائل القدرة ومن عظيم النعمة»(").

« يخبر تعالى عن خلقه الإنسان آدم وذريته وفي ذلك تتجلى مظاهر قدرته وعلمه وحكمته، والتي أوجبت عبادته وطاعته ومحبته وتعظيمه وتقديره»(٤).

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنَفَكَّرُواْ فِي آَنَفُسِهِمُّ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا يَنْهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلِ مُسَمَّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَآمِ رَبِّهِمْ لَكَفِرُونَ النَّاسِ بِلِقَآمِ رَبِّهِمْ لَكَفِرُونَ النَّاسِ إِلَيْقَامِ رَبِّهِمْ لَلْمَاسِ إِلَيْقَامِ رَبِّهِمْ لَلْمُنْ إِلَى إِلْمُ اللَّهُ اللَّهِ إِلَيْهُمْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللِّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللِّهُ الللْمُ اللَّهُ الللِّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللِهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللِهُ اللَّهُ الللْمُولَالِمُ اللْمُؤْمِنِ اللْمُلْمُ اللْمُولِي اللَّهُ اللْمُؤْمِنِ الللْمُلْمُ اللْمُولَالِمُ الللْمُلْمُ اللْمُلِمُ الللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ الللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُ

« وهو الدلالة على توحيده وقدرته (٥). «وهذا حث لهم على إعمال الفكر السليم الموصل إلى معرفة الله و وحدانيته بالنظر في أنفسهم وما حولهم من مشاهد الكون (١).

«أي: يعلمون الله بدلائل الأنفس في

⁽١) لباب التأويل، الخازن، ٤/ ١٢٢.

⁽۲) تفسير السمرقندي، ۳/۲۷۲.

⁽٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور،١٨/ ٢٢.

⁽٤) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٣/ ٥٠٧.

⁽٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٤/٨.

⁽٦) التفسير المنير، الزحيلي، ٢١/ ٥٤.

سائر الأحوال ويتفكرون في خلق السماوات والأرض بدلائل الآفاق»(١).

«والمعنى: أن أسباب التفكر حاصلة لهم، وهي أنفسهم لو تفكروا فيها كما ينبغي، لعلموا وحدانية الله، وصدق أنبيائه »(٢).

قال تعالى: ﴿ هُو اللَّذِى خَلَقَكُم مِّن مَن ثُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ مَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَكُم ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَن يُنَوفَى مِن قَبْلُ وَلِنَبْلُغُوا أَجَلًا شُسَمًى وَلِمَنكُم مَن يُنَوفَى مِن قَبْلُ وَلِنَبْلُغُوا أَجَلا شُسَمًى وَلِمَاكُمُ مَن يُنَوفَى مِن قَبْلُ وَلِنَبْلُغُوا أَجَلا شُسَمًى

«﴿وَلَمَلَّكُمْ تَمْقِلُونَ ﴾ أي: ما في هذه الأحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته هو الذي يحيي ويميت، فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون، أي: يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الإحياء والإماتة وسائر ما ذكر من الأفعال الدالة على قدرته » (٣).

«أي: لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته»(٤).

«دلالة على وجود هذا الخالق الخلق البديع، وعلى انفراده بالإلهية، وعلى أن ما عداه لا يستحق وصف الإلهية، فمن عقل

ذلك من الناس فقد اهتدى إلى ما أريد منه، ومن لم يعقل ذلك فهو بمنزلة عديم العقل(٥).

«دعوة القرآن للتفكر في الأنفس لتفتح مغاليق القلوب لتتدبر هذا الخلق العجيب، فهذا الإنسان بجميع خصائصه وسماته كان كامنًا في تلك النقطة الصغيرة الدقيقة التي لا تراها العين المجردة بعد أن أنستهم الألفة هذا الأمر العجيب»(٢).

وهكذا نجد أن الله سبحانه وتعالى لم يحجر على عقولنا، بل أمرنا بالنظر والتفكر والتدبر في آيات الله الكونية، وفي أنفسنا لنزداد إيمانًا ويقينًا بوحدانيته سبحانه وتعالى، وبالتالي نزداد خشوعًا وتعظيمًا له سبحانه، أما الذين عطلوا عقولهم وألغوها فهم لا يقلون عن الحيوانات، بالإضافة إلى العقوبة التي تنتظرهم يوم القيامة، لأنهم لو أعملوا عقولهم لاهتدوا، فكل الأنفس قابلة للإيمان والاهتداء وكل شيء بيد الله سبحانه وتعالى. اللهم ألهم نفوسنا تقواها، وركها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم آمين.

⁽۵) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ۱۹۲/۲٤-۱۹۷.

⁽٦) البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم، رسالة ماجستير، ميساء قلجة، ص ٥٥.

⁽۱) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ۳۸۹/۱۵.

⁽٢) فتح القدير، الشوكاني، ٤ / ٢٤٨.

⁽٣) لباب التأويل، الخازن، ٤/ ٨٠.

⁽٤) معالم التنزيل، البغوي، ٧/ ١٥٨.

ثانيًا: الأحكام الشرعية:

القرآن الكريم احترم العقل وأولاه اهتمامًا بالغًا، وسمح له بالتفكر والتدبر في الآيات الكونية المرثية المنظورة، والآيات المسطورة في القرآن الكريم وذم من يعطل عقله عن التفكر والتدبر، لكن في الأحكام الشرعية، فالعقل لا يستطيع أن يحيط بكل شيء علمًا، بعض الأحكام التي شرعت العقل كنهها إلا الله وحده، فلا يستطيع العقل فهم الحكمة المرادة منها، وقد جعلها الله تعالى من الأمور الغيبية، فلا يجوز للعقل الخوض في أمور الغيب، بينما أمور الاجتهاد والقياس والأمور التي في إمكانية العقل القيام بها، فهذا مسموح الخوض فيه، وعند تعارض العقل والنقل يقدم النقل على العقل.

تعرف الأحكام الشرعية بأنها ما يصدر عن الإنسان من الأقوال والأفعال بالنسبة للآخرة، فتبين ما يجب فعله وما يجب تركه، وما يترتب على الفعل والترك من استحقاق الثواب والعقاب في الحياة الأخرى، لذلك فان الأحكام الشرعية تتصف بالشمولية، فهي موقوفة من الله سبحانه وتعالى لتراعي الحياتين كلتيهما، الأخرة والدنيا، أما واضع الأحكام الشرعية فهو الله سبحانه وتعالى، وهو الذي يوجب ما يشاء بيده الأمر وهو على كل شيء قدير.

الأحكام الشرعية التي تتعلق بالعقيدة ليس للعقل فيها أي دور فلا يسمح بالاجتهاد في أمور العقيدة؛ لأن الدليل فيها قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، فلا مجال لإعمال العقل فيها.

«العقل هو الذي دلنا على وجود الخالق، وصحة رسالة رسوله الذي أيده بالمعجزات، تلك المعجزات التي تدل على صدق نبوة الأنبياء باستعمال الفكر والنظر.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «المعقول الصريح لا يخالف المنقول الصحيح»(١).

العقل أن يهتدي إلا بالشرع، والشرع أم يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأس والشرع كالبناء، ولن يغني أس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس، وأيضًا فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع، ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج، ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر.

فلهذا قال تعالى: ﴿فَدَ جَاءَ حُمُمَ مِنْ اللّهِ نُورٌ وَكِتَبُ مُبِيتُ ﴿ فَدَ جَاءَ حُمُم مِن اللّهُ مُنِ اللّهُ مُنِ النَّبَعَ رِضُونَ كُوسُبُلَ اللّهَ مَنِ الظُّلُمَنتِ إِلَى السّكَيْمِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَنتِ إِلَى النّهُورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَطٍ النّهُ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَطٍ مُسْتَقِيمِ إِلَى صِرَطٍ مُسْتَقِيمِ إِلَى المائدة: ١٥-١٦].

فالعقل لا يهدي إلى تفاصيل الشرعيات

(۱) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ٨/ ٩١، العقل والنقل عند ابن رشد، أبو أحمد جامي على، ١/ ٧٨.

والشرع تارة يأتي بتقرير ما استقر عليه العقل، وتارة بتنبيه الغافل وإظهار الدليل حتى يتنبه لحقائق المعرفة، وتارة بتذكير العاقل حتى يتذكر ما فقده، وتارة بالتعليم وذلك في الشرعيات وتفصيل أحوال المعاد، فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة والأفعال المستقيمة والدال على مصالح الدنيا والآخرة، ومن عدل عنه فقد ضل سواء السبيل، وإلى العقل والشرع أشار بالفضل والرحمة بقوله تعالى: ﴿وَلُولًا بِالفَصْلُ وَالرَّحَمَةُ لَاتَبَعَتُمُ الشَّيَطَانَ إلَّا النساء: ٢٥].

«وعنى بالقليل المصطفين الأخيار» (١). دور العقل في إدراك الغيبيات:

إن أول ركن بني عليه الإسلام، صقل العقول بصقال التوحيد، وتطهيرها من لوث الأوهام، وسعادة الأمم لا تتم إلا بصفاء العقول من كدرات الخرافات وصدأ الأوهام بل إن خرافة قد تقف بالعقل عن الحركة الفكرية، فيسهل عليه قبول كل وهم وتصديق كل ظن، وفوق ذلك ما تجلبه من الأوهام على النفوس من الوحشة وقرب الدهشة، والخوف مما لا يخيف، والفزع مما لا يفزع (٢).

(۱) معارج القدس في مدراج معرفة النفس، أبو حامد الغزالي، ٩/ ٥٩.

(٢) انظر: مقام العقل في الإسلام، د.محمد عمارة، ص ٤٩.

أما في الغيبيات فإن دور العقل منفي تمامًا، ولهذا لا يقبل حكم العقل على غيبيات، وجعل الشرع موطن التصديق بالغيبيات الإيمان المطلق وليس العقل، ولا غرابة في ذلك، إذ أن جميع الناس يتفقون على أن العقل حادث ومخلوق، ويتغير بتغير المعلومات التي تدخل إليه، وأيضًا يتغير بالقدرة على الاستفادة من تلك المعلومات، ولا قدرة للمخلوق أن يحيط بالخالق سبحانه، والغيب من اختصاصات الخالق، لذا فلا يدرك الغيب أصلًا، وبعض ما يعلم عنه إنما يكون من خلال النصوص الصحيحة.

دور العقل في الأحكام الشرعية:

والأصل أن العقل لا سلطان له في تغيير الأحكام الثابتة بالكتاب والسنة، هذا إذا افترضنا أصلا أن هناك تناقضًا بين أحكام الشريعة وما يتوصل إليه العقل السليم، مع أن هذا الافتراض مدفوع، فالعقل السليم ينتهي دائمًا عند مراد الشرع، حتى بالنسبة لأحكام العبادات التي قد لا ينهض العقل لإدراك الحكمة من فرضيتها، فإنه بالعقل يمكن إدراك العديد من الحكم الجليلة التي تدرك بالممارسة والتأمل.

وآفة الناس أنهم تركوا المساحة الواسعة التي أفردها الشرع لعقولهم ولم يسعوا إلا

للكلام في المناطق التي ملأها الشرع على نحو تفصيلي، وهذا مما يطعن في سلامة نوايا هؤلاء الناس.

وليس للعقل دور في كل العلوم على سواء، فالعلوم ثلاثة أقسام:

- ٨. العلوم الضرورية: وهي التي لا يمكن التشكيك فيها، إذ أنها تلزم جميع العقلاء ولا تنفك عنهم، كعلم الإنسان بوجوده وأن اثنين أكثر من الواحد، وكالسماء فوقنا والأرض تحتنا إلى غير ذلك مما يسمى بقوانين العقل الضرورية.
- ٩. العلوم النظرية: وهي التي تكتسب بالنظر والاستدلال، وهذا النظر لابد في تحصيله من علم ضروري يستند إليه حتى يعرف وجه الصواب فيه، ويدخل في هذا القسم كثير من العلوم كالطبيعيات والطب والصناعات، فهذه العقل له مجال رحب في معرفتها وإدراكها والتوسع فيها.
- 10. العلوم الغيبية: وهذه لا تعلم بواسطة العقل المجرد وحده، بل لابد للعقل إذا أراد أن يعلمها أن يكون له طريق آخر للعلم به؛ كعلمه بما يكون في البلد القاصي عنه، وعلمه بما في اليوم الآخر من بعث وحساب وجزاء، وهذا لا يعلم إلا عن طريق الخبر، ويدخل في هذا

القسم كثير من مسائل الاعتقاد لا سيما التفصيلية منها، فهذه لا يستقل العقل بمعرفتها؛ بل لابد من اعتماده على الوحى، هذا الموقف الوسط بخلاف ما عليه أصحاب الفرق الضالة، فمنهم من اعتمد على العقل وأعرض عن الوحى بالكلية كالفلاسفة، أو أسقط حكم الوحى عند التعارض المفترض كما هو حال أكثر المتكلمين، ومنهم من جعل الحق والصواب فيما تشرق به نفسه وتفیض به روحه، وإن خالف هذا أحكام العقل الصريحة أو نصوص الوحى الصحيحة، كما هو حال بعض المتصوفة، والعقل كذلك له طاقة وقدرة محدودة ولا يستطيع أن يخضع كل المعارف وحقائقها لقدرته.

ثالثًا: التمييز بين الحق والباطل:

من فضل الله علينا أَنْ مَنَّ علينا بنعمة العقل كي نميز به بين الحق والباطل والصواب والخطأ، وبين ما ينفعنا وما يضرنا فلله الحمد على هذه النعمة، ومن الآيات القرآنية الدالة على ذلك نذكر بعضًا منها.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ اللَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوّاْ ءَامَنّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ قَالُوّا أَتَّحَدِثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُعَاجُوكُم بِدِء عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا نَعْقِلُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّ

«عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضُ هُمْ إِلَىٰ بَعْضُ هُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾، يعني: بما أمركم الله به. فيقول الآخرون: إنما نستهزئ بهم ونضحك (١٠).

«روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن منافقي أهل الكتاب كانوا إذا لقوا أصحاب محمد صلى عليه وسلم قالوا لهم: آمنا بالذي آمنتم به، نشهد أن صاحبكم صادق، وأن قوله حق، ونجده بنعته وصفته في كتابنا، ثم إذا خلا بعضهم إلى بعض قال الرؤساء -كعب بن الأشرف، وكعب بن أسد، ووهب بن يهودا وغيرهم- أتحدثونهم بما فتح الله عليكم في كتابه من نعته وصفته ليحاجوكم به»(٢).

«﴿أَفَلَا نُعْقِلُونَ ﴾ متصل بكلامهم من التوبيخ والعتاب، أي: ألا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش، وهو أن ذلك حجة لهم عليكم، فالمنكر عدم التعقل ابتداء، أو أتفعلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التنبيه عليه، فالمنكر حينئذ عدم التعقل بعد الفعل (٣).

فهم كانوا يعرفون الحق وينكرونه، من أقوال المفسرين يتبين أن بالعقل يستطيع الإنسان التمييز بين الحق والباطل.

قال تعالى: ﴿ مَا جَمَلَ ٱللَّهُ مِنْ بَحِيرَةِ وَلَا

- (۱) جامع البيان، الطبري، ۲/ ۲۵۱.
- (٢) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ٢/ ١٩٧.
 - (٣) روح البيآن، إسماعيل حقى، ١٦٧/١.

سَآنِيَةِ وَلَا وَصِيلَةِ وَلَا حَامِّ وَلَاكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَٱكْتُرُهُمْ لَا يَمْقِلُونَ ﴿ كَالْمُعْمُ لَا يَمْقِلُونَ ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الله

قال تعالى: ﴿ قُل لَوْ شَاءَاللَهُ مَا تَلَوَّتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا آَدُرَكُمْ بِيْدٍ فَقَكَدَ لِيَثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِيْ آَفَلَا تَمْقِلُونَ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِيْ آَفَلَا تَمْقِلُونَ آنَ [برنس: ١٦].

بصائرهم عن اتباع الحق.

«وأنكم تعلمون صدقي وأمانتي منذ نشأت بينكم إلى حين بعثني الله عز وجل، لا تنتقدون علي شيئا تغمصوني به؛ أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل»(٥٠).

«وقل لهم: إنني إنما جئتكم بهذا القرآن بإذن الله ومشيئته، ولو شاء الله أن لا أتلوه عليكم ما تلوته، ولو شاء أن لا يعلمكم به بإرسالي إليكم، لما أرسلني، ولما أدراكم

⁽٤) أنوار التنزيل، البيضاوي، ٢/ ١٤٦.

⁽٥) تفسير القرآن العظيم، أبن كثير، ٤/ ٢٥٣.

به، ولكنه شاء أن يمن عليكم بهذا العلم لتهتدوا، وتكونوا خلائف في الأرض. فقد عشت فيكم وبينكم سنين طويلة من عمري لم أبلغكم خلالها شيئا، لأن الله لم يكن قد أوحى إلي برسالته، فلما أوحى إلي، وأمرني بأن أبلغكم أوامره فعلت، أليس لكم عقول تميزون بها بين الحق والباطل؟ (().

رابعًا: التدبر في آيات القرآن:

«﴿لِفَوْمِ يَعْقِلُونَ ﴾ أي: يستعملون عقولهم في تدبر الأمور، وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الآيات للكل لأنهم المنتفعون بها»(٢).

﴿ ﴿ لِقَوْمِ يَمْقِلُونَ ﴾ يستعملون عقولهم

- (١) أيسر التفاسير، أسعد حومد، ١/ ١٣٨١.
- (٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٧/ ٥٩.

في تدبر الأمثال»(٣).

" ومثل هذا التفصيل البديع يَعْقِرُكُ الله أي ومثل هذا التفصيل البديع بضرب الأمثال الكاشفة للمعاني، المقربة لها إلى العقول، إذ تنقل المعقول إلى المحسوس التي هي به ألصق، ولإدراكه أقرب نفصل حججنا وآياتنا لقوم يستعملون عقولهم في تدبر الأمثال، واستخراج مغازيها ومراميها للوصول إلى الأغراض التي لأجلها ضربت، ولمثلها استعملت، فيستبين الرشد من الغي، والحق من الباطل، ولأمر ما كثرت الأمثال في جلاء الحقائق، وإيضاح ما أشكل منها على الناظرين " أن .

الواجب استعمال العقول في التدبر والتفكر للآيات والأمثال التي يضربها الله لنا كي ننجو من الوقوع في المحظور، والخوف كذلك لا يكون إلا منه سبحانه، فكل شيء بيده، فلم نخاف المخلوقين وهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، فكيف سيقومون بنفعنا أو ضرنا؟! نسأل الله السلامة.

قال تعالى: ﴿لَقَدَّ أَنَزَلْنَا ۚ إِلَيْكُمْ كِتَبَافِيهِ فِي اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُمُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ال

المُوْأَفَلَا تَمْقِلُونَ ﴾ إنكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في أمر الكتاب والتأمل في أحكامه (٥).

- (٣) أنوار التنزيل، البيضاوي، ٢٠٦/٤.
 - (٤) تفسير المراغى، ٢١/ ٤٤.
- (٥) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٦/٨٥.

«وهذا كالحث على التدبر للقول؛ لأنهم كانوا عقلاء، لأن التدبير من لوازم العقل،

قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْشَاءَ أَلَّهُ مَا تَكُوَّتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَىٰكُمْ بِيِّهُ فَقَدْ لَيِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِن قَبَلِيَّة أَفَلًا تَمْقِلُونَ 📆 🌪 [يونس: ١٦].

« ﴿ أَفَلَا تَمْ قِلُونَ ﴾ أي: أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر، فتعلموا أنه ليس من طوق البشر، بل هو من عند الحكيم العليم الواحد القهار»(٢).

«فلو أعملتم أفكاركم وعقولكم، وتدبرتم حالي وحال هذا الكتاب، لجزمتم جزما لا يقبل الريب بصدقه، وأنه الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، ولكن إذا أبيتم إلا التكذيب والعناد، فأنتم لا شك أنكم ظالمون»(۳).

«أفلا تعقلون أنه ليس من قبلي، أي: أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه، لتعلموا أنه ليس إلا من الله»(٤).

مما سبق نجد أننا لو تدبرنا كتاب الله وآياته المسطورة والمنظورة بعقولنا وفطرتنا السليمة، كما أمرنا ربنا تبارك وتعالى،

فمن لم يتدبر فكأنه خرج عن العقل ١٤٠١).

خامسًا: آثار المهلكين من الأمم السابقة:

واتبعنا التعاليم والمبادئ الموجودة في ديننا

الحنيف، لاهتدينا بأمر الله وكنا من الفائزين

في الدنيا والآخرة.

من وسائل تربية الله تعالى للبشر، ذكره القصص لأخذ العبرة والامتثال لحكم الله سبحانه وتعالى، فذكر لنا قصص الأمم الغابرة التي حادت عن منهج الله سبحانه، فبين الله عز وجل سنته فيهم وذلك بالخسف والدمار وإنزال العذاب عليهم، وترك من آثار ديارهم المدمرة للتدبر وليكونوا عبرة لغيرهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبَلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِى إِلَيْهِم مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَّىُّ أَفَلَرْ يُسِيرُوا فِ ٱلْأَرْضِ فَيَ نَظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنِقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن مَيْلِهِمَ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوَّأُ أَفَلَا تَمَعِلُونَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ ١٠٩].

 الْهُ اللَّهُ اللَّا اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا ويعتبرون بهم فيؤمنون»^(۵).

 « فتتدبروا سنن الله في الغابرين؟ أفلا تعقلون فتؤثروا المتاع الباقي على المتاع القصير؟ »^(١).

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكُو لَنَدُونَ عَلَيْهِم مُصْبِحِينَ الصافات: وَيَالَّيْلُ أَفَلَا مَّقِلُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الله

- (٥) لباب التأويل، الخازن، ٢/ ٥٦٠.
- (٦) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٠٣٥.
- (١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، . 804 /14
 - (٢) البحر المديد، ابن عجيبة، ٢/ ٤٥٨.
 - (٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٩٥٩.
 - (٤) التفسير المنير، الزحيلي، ١١/١١.

٧٣١ - ٨٣١].

والمعنى تمرون على منازلهم في ذهابكم إلى الشام ورجوعكم منه نهارًا وليلا أفلا تعقلون ما تشاهدونه في ديارهم من آثار عقوبة الله النازلة بهم، فإن في ذلك عبرة للمعتبرين وموعظة للمتدبرين (١١).

«أي: أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها؟»(٢).

«﴿ أَفَلَا تُمْقِلُونَ ﴾ يقول: أفليس لكم عقول تتدبرون بها وتتفكرون (٣).

«أتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم»(٤).

ويظهر من خلال ما نقل من أقوال المفسرين آنفًا أن معنى العقلان في الآيات السابقة يدور حل الاعتبار والاتعاظ بما تضمنه السنن الجارية من دروس في حياة الأفراد والأمم، فلنعتبر مما حدث في الأمم التي السابقة، وننظر إلى ما آلت إليه الأمم التي حادت عن المنهج السليم، الذي أرسل الله لهم به الرسل للهداية والنجاة من العقاب، وتدبرنا ذلك في أنفسنا بعقولنا وبصائرنا، ترانا ماذا كنا فاعلين؟

فالسعيد من وعظ بغيره، نسأل الله السلامة في الدنيا والآخرة.

سادسًا: حقيقة الحياة الدنيا والحياة الآخرة

في القرآن الكريم العديد من الآيات التي يدعونا الله عز وجل من خلالها للمقارنة بين الدنيا وشقائها، والدار الآخرة بنعيمها والفوز بالجنة، والذي يتدبر الأمر هو الذي يمتلك عقلًا واعيًا، ويحسن المقارنة فيترك متاع الدنيا القليل الزائل ويعمل من أجل النعيم الدائم في الآخرة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا إِلَّالَمِتُ وَلَهَوُّ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنَّقُونُ أَفَلاَ تَمْقِلُونَ ﴿ الْأَنعَامِ: ٣٢].

« ﴿ أَفَلَا تَمْقِلُونَ ﴾ أي: أفلا يكون لكم عقول، بها تدركون، أي الدارين أحق بالإيثار» (٥).

« أفلا تعقلون إن الآخرة خير من الدنيا فيعملون لها» (٢).

« نصيحة القرآن للعقلاء بأن لا يغتروا بالحياة الدنيا، ويهملوا شأن الآخرة وهي خير للمتقين (٧).

في الآية السابقة نلاحظ كيف أن القرآن ينكر على الذين يعقلون كيف لا يتدبرون الآيات، ويشغلون أنفسهم بالدنيا وما فيها من مظاهر اللهو واللعب، ويتركون الإعداد

⁽۵) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٢٥٤.

⁽٦) لباب التأويل، الخازن، ٢/ ١٠٩.

⁽V) أيسر التفاسير، الجزائري، ٢/ ٥٢.

⁽١) جامع البيان، الطبري، ١٣/ ٣٨٢.

⁽٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٣٨.

⁽٣) جامع البيان، الطبري، ٢١٠٥/٢ ١٠٥.

⁽٤) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٧/ ٢٠٥.

للآخرة التي هي خير وأبقى لمن أخلص في طلبها واستعمل دنياه في تحصيلها.

قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعَدِهِمْ خَلَفُ وَرِيُواْ الْكِنْبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَنَدَا الْأَذَنَى وَيَقُولُونَ مَرِهُو الْكَنْبَ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ. يَأْخُذُوهُ أَلَرَ يُوْخَذَ عَلَيْهِم مِيثَقُ الْكِتَنبِ أَن لَا يَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلَّا الْحَقَّ عَلَيْهِم مِيثَقُ الْكِتَنبِ أَن لَا يَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلَّا الْحَقَّ عَلَيْهِم مِيثَقُ الْكِتَنبِ أَن لَا يَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدُرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِدَةُ خَنْدُ لِلّهِ اللّهِ يَعْفُونُ أَن اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ ا

«﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنَّعُونَ ﴾ للدوامها، وخلوص منافعها ولذاتها عن المضار والآلام، ﴿أَفَلا تَمْقِلُونَ ﴾ ذلك حتى تتقوا ما أنتم عليه من الكفر والمعاصي، ولا تؤثرون الأدنى الفاني، على الأعلى الباقي»(۱).

«﴿ أَفَلَا تَمْوَلُونَ ﴾ فيعلموا ذلك، ولا يستبدلوا الأدنى الحقير المؤدي إلى العقاب بالنعيم الكبير المخلد في دار الثواب» (٢٠).

« ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ يعني: أفلا يعقل هؤلاء الذين يرضون بعرض الدنيا أن ما في الآخرة خير وأبقى لأنها دار المتقين (٣٠٠).

«﴿أَفَلَا تُمْقِلُونَ ﴾ أي: أفلا يكون لكم عقول توازن بين ما ينبغي إيثاره، وما ينبغي الإيثار عليه، وما هو أولى بالسعي إليه، والتقديم له على غيره. فخاصية العقل النظر للعواقب.

- (١) محاسن التأويل، القاسمي، ٤/ ٣٤٤.
- (٢) البحر المديد، أبن عجيبة ، ٢/ ٢٧٧.
 - (٣) لباب التأويل، الخازن،٢/ ٢٦٥.

وأما من نظر إلى عاجل طفيف منقطع، يفوت نعيمًا عظيمًا باقيًا فأنى له العقل والرأي؟»(٤).

مما سبق نلاحظ أن القرآن الكريم ذكر أن العاقل هو الذي يقارن بعقله بين الدنيا ومتاعها الزائل، والآخرة ونعيمها الباقي ويختار بعقله السليم ما هو خير له في دنياه وآخرته، و الشقي من يؤثر الدنيا ومتاعها القليل الزائل ويستبدلها بالخلود في الجنة ونعيمها المقيم، يبيع آخرته بعرض ومتاع سقط لا قيمة له، مقارنة بما كان ينتظره في الجنة لو أعد له واهتدى. نسأل الله السداد والتوفيق.

سابعًا: الأمثال القرآنية:

ضرب المثل نوع من أنواع تقريب العلم وفهمه لعقول الناس، وهو وسيلة من الوسائل التعليمية التي نهجها القرآن منها القصص والمثل وغيرها، وذلك لتقريب الصورة للأذهان، والاستفادة من الأحكام والأوامر والنواهي والتدبر والتفكر في آيات الله، والحذر من الوقوع في المعصية، والتعرض لغضب الله والعياذ بالله.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَنَذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍّ وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ ٱكْتُرَ شَيْءِ جَدَلًا ﴿ اللَّهِ اللَّ

⁽٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٧٠٧.

«﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ﴾ أي: بَيَّنَا ﴿ فِي هَنَذَا اللهُ مِنَا ﴿ فِي هَنَذَا اللهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنَالٍ ﴾ أي: ليتذكروا ويتعظوا الله (١٠).

« أمِن كُلِّ مَثَلِ ﴾ من كل خبر يحتاجون إليه مضروب يعتبرون به، ومن جملته ما مر من مثل الرجلين، ومثل الحياة الدنيا، أو من كل نوع من أنواع المعاني البديعة الداعية إلى الإيمان، التي هي، في الغرابة والحسن واستجلاب القلوب، كالمثل المضروب، ليتلقوه بالقبول» (٢).

« ﴿ مِن كُلِّ مَثَلِ ﴾ ضربناه للناس: تقريبًا لأفهامهم، » (٣).

«يخبر الله تعالى عن عظمة القرآن، وجلالته، وعمومه، وأنه صرف فيه من كل مثل، أي: من كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر والهلاك، ففيه أمثال الحلال والحرام، وجزاء الأعمال، والترغيب والترهيب، والأخبار الصادقة النافعة للقلوب، اعتقادًا، وطمأنينة، ونورًا، وهذا مما يوجب التسليم لهذا القرآن وتلقيه بالانقياد والطاعة، وعدم المنازعة له في أمر من الأمور».

«يقول عز ذكره: ولقد مثلنا في هذا

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٤٨٠.

القرآن للناس من كل مثل، ووعظناهم فيه من كل عظة، واحتججنا عليهم فيه بكل حجة ليتذكروا فينيبوا، ويعتبروا فيتعظوا، وينزجروا عما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وعبادة الأوثان»(٥).

وهكذا نرى أن الغاية من ضرب المثل هو تقريب المعنى للأفهام، وتوضيح الصورة لأخذ العبرة، والانقياد والطاعة وزيادة الطمأنينة.

قوله تعالى: ﴿ ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَالَّا مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَةِ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّعِيعِ مَثَلً اللَّهُ مَثَلًا أَفَلًا لَذَكَّرُونَ ﴿ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهُ ا

« ﴿ أَفَلَا نُدَكَّرُونَ ﴾ أي: بضرب الأمثال وتدبرها (٢٠٠٠).

« ﴿ أَفَلَا نُدَكَّرُونَ ﴾ أي: أفلا تعتبرون وتتعظون؟ والغرض التفريق بين أهل الطاعة والإيمان، وأهل الجحود والعصيان (٧٠٠).

« ﴿ أَفَلَا نَذَكُرُونَ ﴾ تتعظون بضرب الأمثال فترجعون عن غيكم » (^).

« ﴿ أَفَلَا نَذَكُونَ ﴾ أي: تتعظون بضرب الأمثال والتأمل فيها » (٩) من الآية السابقة نجد أن ضرب المثل كان للتدبر والاتعاظ.

⁽١) لباب التأويل، الخازن،٣/ ١٦٨.

⁽٢) البحر المديد، ابن عجيبة، ٣/ ٢٨٢.

⁽٣) أوضح التفاسير، الخطيب، ١/ ٣٥٩.

⁽٥) جامع البيان، الطبري، ١٨/ ٤٨.

⁽٢) محاسن التأويل، القاسمي، ٦/ ٨٦.

⁽V) صفوة التفاسير، محمد على الصابوني، ٢/٩.

⁽٨) البحر المديد، ابن عجيبة، ٢/ ٥٢١.

⁽۹) السراج المنير، الشربيني، ۲/۵۲، التفسير المظهري، ٥/ ٨٠.

قال تعالى: ﴿ ذَالِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا البَّعُوا الْبَعُوا الْبَعُوا الْبَعُوا الْبَعُوا الْبَعُوا الْبَعُوا الْمُقَلِّ مِن رَّبِهِمْ كَاذَالِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿ ثَلَا اللهِ مَحمد: ٣].

« ﴿ كَذَلِكَ يَضِرِبُ اللّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴾ أي: مثل ذلك البيان الواضح، بين الله أمر كل من الفريقين المؤمنين والكافرين بأوضح بيانٍ وأجلى برهان؛ ليعتبر الناسِ ويتعظوا (١٠).

وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِيكَ ٱتَّفَا دُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِكَآهَ كَمَثُلِ ٱلْعَنْكَبُوتِ ﴾ [العنكيوت: ٤١].

«هذا المثل وغيره من الأمثال التي في القرآن، نضربها للناس تنبيهًا لهم، وتقريبًا لما بعد من أفهامهم» (٢٠).

«أي: لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، ولأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس» (٣).

وهكذا نرى كيف ضرب الله تعالى المثل لتقريب الصورة وسهولة الاستيعاب، وأخذ العبرة من الأمثال.

ثمار استعمال العقل

الحمد لله على نعمة العقل التي أنعم الله تعالى بها علينا، فبه عرفنا الله ربنا وبه عبدناه، ونسير كذلك أمرنا في الحياة الدنيا، وبه ميزنا عن سائر خلقه من الطيور والحيوانات، وبه نميز بين الحق والباطل، وبواسطته تعلمنا الحلال من الحرام، وتعلمنا العلوم الشرعية والدنيوية، وبه جاهدنا أنفسنا والشيطان.

أولًا: الهداية:

«إن القرآن هو كتاب العقل، وأنه بأكمله دعوة لتحرير العقل من عقاله، وأنه يدعونا -بعبارات تختلف في أسلوبها وتتحد في معناها - إلى استعمال العقل ووزن كل شيء بميزانه.

قال تعالى: ﴿ فَالَ أَفَتَعَبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُ كُمْ مَنكًا وَلَا يَضُمُّكُمُ مَ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُ كُمْ مَنكًا وَلَا يَضُمُّكُمُ مَن أُونِ اللَّهِ أَفَلَا اللَّهِ أَفَلَا لَا اللَّهِ أَفَلَا لَا اللَّهِ أَفَلَا اللَّهِ أَفَلَا اللَّهِ أَفَلَا اللَّهِ اللَّهِ أَفَلَا اللَّهُ اللَّهِ أَفَلَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

« ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يعني: أليس لكم عقل تعقلون به أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة؟ (٤).

«﴿أَفَلَا تَمْقِلُونَ ﴾ أن من ليس له ذهن ولا قوة ولا منفعة ولا مضرة أن لا تعبدوه (○).

⁽٤) لباب التأويل، الخازن، ٣/ ٢٢٩.

⁽٥) تفسير السمرقندي، ٢/ ٤٣١.

⁽١) صفوة التفاسير، الصابوني، ٣/ ١٩١.

⁽٢) فتح القدير، الشوكاني، ٤/ ٢٣٦.

⁽٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٦٣١.

وقوله: «﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: أليس لكم عقل تعرفون هذا؟ »(١).

«﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ، الذي لا يروج إلا على جاهل ظالم فاجر؟ (٢).

«﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: ألا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم (٣٠٠).

«﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الذي لا يدين به إلا كل جاهل ظالم فاجر»(٤).

قال تعالى: ﴿ أُوْلَتِيكَ اللَّذِينَ هَدَنْهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَتِيكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَكِ ﴾ [الزمر: ١٨].

« قوله: ﴿ أُوْلَتِهِكَ اللَّهِ عَدَنَهُمُ اللّهُ ﴾ أي: المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة، ﴿ وَأُولَتُهِكَ هُمُ أُولُوا الله في الدنيا والآخرة، ﴿ وَأُولَتُهِكَ هُمُ أُولُوا الله وي العقول الصحيحة، والفطر المستقيمة » (٥).

«وقوله: ﴿أَوْلَتِهِكَ ٱلَّذِينَ هَدَنَهُمُ ٱللهُ ﴾ أي: أرشدهم الله إلى الحق. وقوله: ﴿وَأُولَتِهِكَ هُمُ أُولُوا ٱلْأَلْبَكِ ﴾ أي: أولو العقول» (١٠).

«﴿ أُوْلَتِهِكَ ٱلَّذِينَ هَدَمْهُمُ ٱللَّهُ ﴾ لدينه، ﴿ وَأُولَتِهِكَ مُمْ أُولُوا ٱلْأَلْبَتِ ﴾ العقول السليمة

- (١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير اليماني، ١/١٨.
 - (٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ١٥٥.
 - (٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٦/ ٧٦.
 - (٤) التفسير المنير، الزحيلي، ١٧/ ٨٤.
 - (٥) تفسير القرآن العظيم، أبن كثير، ٧/ ٩٠
 - (١) تفسير السمعاني، ٤/٤٦٤.

عن منازعة الوهم والعادة، وفي ذلك دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها»(٧).

مما سبق نجد أن الله سبحانه وتعالى أكرم الإنسان بالعقل، وبهذا العقل السليم اهتدى لوحدانية الله عز وجل، فأكرمه الله تعالى بالهداية والعلم، مما زاد تقواه وخشيته لله تعالى، وهذا فضل من الله ومنة لذوي العقول السليمة والفطرة الصافية.

ثانيًا: مطابقة العلم للعمل:

من العار أن يكون الإنسان متعلمًا لأمر معين، ويعلمه لغيره، وهو أولى أن يقوم بالعمل بما يعلم، قال صلى الله عليه وسلم مادحًا من تعلم وعلم، أي: من عمل بعلمه، فالإنسان العاقل هو من يقوم بالعمل بما يعمل، عن عثمان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)(^).

«قال الحكماء: العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، وحياة المروءة الصدق، وحياة الروح العفاف، وحياة الحلم العلم، وحياة الفهم العمل، وحياة العمل القبول»(٩).

- (V) أنوار التنزيل، البيضاوي، ٥/ ٣٩.
- (۸) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم ۲/ ۲/ ۵۰۲۷.
- (٩) المجالسة وجواهر العلم، الدينوري،

و «قال بعض الحكماء: أفضل العقل معرفة الرجل نفسه، وأفضل العلم وقوف الرجل عند علمه «١١).

قال تعالى: ﴿ ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ وَالْبِرِ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ نَتْلُونَ ٱلْكِئسَ أَفَلاً تَمْقِلُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ

«﴿أَفَلَا تَمْقِلُونَ ﴾ قيل: إن من وعظ الناس يجتهد أن ينفذ موعظته إلى القلوب، فإذا خالف قوله فعله كان ذلك سبب تنفير القلوب عن قبول موعظته»(٢).

«العقل يحث صاحبه أن يكون أول فاعل لما يأمر به، وأول تارك لما ينهى عنه، فمن أمر غيره بالخير ولم يفعله، أو نهاه عن الشر فلم يتركه، دل على عدم عقله وجهله، خصوصا إذا كان عالما بذلك، قد قامت عليه الحجة»(٣).

«وقال الحرالي: ولما كان فيهم من أشار على من استهداه بالهداية لاتباع محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يهدوا أنفسهم لما أرشدوا إليه غيرهم، أعلن تعالى عليهم بذلك نظمًا لما تقدم من نقض عهدهم ولبسهم وكتمهم بما ظهر من نقص عقولهم، في أن يظهر طريق الهدى لغيره ولا يتبعه، فأخرجهم بذلك عن حد العقل الذي هو

أدنى أحوال المخاطبين، وزاد في تبكيتهم بجملة حالية حاكية تلبسهم بالعلم والحكمة الناهية عما هم عليه (٤).

«وقوله: ﴿أَفَلا تَمْقِلُونَ ﴾ استفهام عن انتفاء تعقلهم استفهامًا مستعملًا في الإنكار والتوبيخ، نزلوا منزلة من انتفى تعقله فأنكر عليهم ذلك، ووجه المشابهة بين حالهم وحال من لا يعقلون أن من يستمر به التغفل عن نفسه وإهمال التفكر في صلاحها مع مصاحبة شيئين يذكرانه، قارب أن يكون منفيًا عنه التعقل»(٥).

وهكذا نجد التقريع والذم لمن لا يعمل بما يعلمه للناس.

قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَمَفْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ [الصف:

.[٣-٢]

«تتناول ذم من قال ما لا يفعله على أي وجه كان من مطلق أو مقيد بشرط »(``).

« هذا الاستفهام للتقريع والتوبيخ، أي: لم تقولون من الخير ما لا تفعلونه؟»(٧).

«أي: لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر، وربما نزهتم أنفسكم عنه،

⁽٤) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ١/ ٩٢.

⁽٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١/ ٤٧٧.

⁽٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨/ ٧٩.

⁽V) فتح القدير، الشُّوكاني، ٥/ ٣٦١.

^{3/ 777.}

⁽١) المصدر السابق، ٤٩٣/٤.

⁽٢) لباب التأويل، الخازن، ١/ ٤٢.

⁽٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٥١.

وأنتم متلوثون به ومتصفون به. فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغى للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه»(١).

قال تعالى: ﴿ وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِي ءَاتَيْنَهُ ءَايِكِنِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتَّبِعَهُ ٱلشَّيْطُانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿ ﴿ وَلَوْ شِنْمَا لَرَفَعَنَّهُ يَهَا وَلَنَكِنَّهُۥ أَخْلَدُ إِلَى ٱلأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَلَهُ فَنْلُهُ كُنْيَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَتْ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَتْ ذَالِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْيِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَايَنِينا فَأَقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكُّرُونَ اللَّهِ سَلَّةَ مَثَلًا ٱلْفَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِتَايِنَانِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ اللهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُو ٱلْمُهْتَدِئُ وَمَن يُضَلِلْ فَأُولَيْكَ هُمُ أَلْفُنِيرُونَ ﴿ إِنَّ الْأَعِرِ افَ: ١٧٥ - ١٧٨].

«قال قتادة: هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله»(۲).

«أنه مال إلى الدنيا ورغب فيها وآثرها على الآخرة واتبع هواه، أي: اتبع ما يهواه، وترك العمل بما يقتضيه العلم الذي علمه الله، وهو حطام الدنيا»(٣).

«وفي هذه الآيات الترغيب في العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من الله لصاحبه،

- (١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٨٥٨.
 - (٢) لباب التأويل، الخازن، ٢/ ٢٧٢.
 - (٣) فتح القدير، الشوكاني، ٣٠٢/٢.

وعصمة من الشيطان، والترهيب من عدم العمل به، وأنه نزول إلى أسفل سافلين، وتسليط للشيطان عليه، وفيه أن اتباع الهوي، وإخلاد العبد إلى الشهوات، يكون سببا للخدلان »(٤).

«هنا نفيٌ بضرب المثل للمكذبين بآيات الله المنزلة على رسوله الكريم بعد أن أيدها بالأدلة العقلية والكونية، وهو مثل من آتاه الله آياته فكان عالمًا بها قادرًا على بيانها، لكنه لا يعمل بها، بل يأتي عمله مخالفًا لعلمه. لذا سلبه الله ما آتاه»(ه).

فالعمل المبارك المقبول هو ما كان عن علم، كذلك العمل الطيب المبارك هو الذي ينفع صاحبه ويعمل به، فيكون حجة له لا عليه، ويرفع الله درجاته في الجنة.

ثالثًا: الامتناع عن المعاصي:

السعيد الذي منحه الله تعالى عقلًا سليمًا وقلبًا عامرًا بالتقوى والإيمان، فهو يكون بعيدًا كل البعد عن المعاصى؛ لأن قلبه مضاء بنور الإيمان، وعقله النير وفطرته السليمة يصد بهما كل خطرات الشيطان، كذلك نفسه التي بين جنبيه تكون مطمئنة، تدعوه للعمل الصالح والطاعة والسلوك القويم الذي يرضى الله تعالى عنه، فلا يسلك سبل الشيطان الملتوية، بل يبتعد عن

⁽٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٣٠٨.

⁽٥) تيسير التفسير، إبراهيم القطان، ٢/ ٨٩.

كل ما يغضب الله تعالى، اللهم ألهم نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم آمين.

قال تعالى: ﴿ فَ قُلْ تَمَالُواْ أَتَلُ مَا حَرْمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا ثُشْرِكُواْ بِهِ شَيْعًا وَ الْوَالِدَيْنِ إِحْسَدَنَا وَلَا تَقْنُلُواْ أَوْلَدَكُم مِن إِمْلَتِيْ خَمْنُ نَرْدُقُكُمْ وَإِيّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَحِثْنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْرَبُوا تَقَلْلُواْ النّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلّا بِالْحَقِّ ذَالِكُو وَصَّنَكُم بِهِ لَمَلَكُونَ فَقَوْلُونَ ﴿ أَن اللّهُ اللّا بِالْحَقِّ ذَالِكُو وصَّنَكُم بِهِ لَمَلَكُونَ فَقَوْلُونَ ﴿ أَي: لَكِي تَتَفَعُوا بعقولكم (١)

« ﴿ لَمُلَكُّرُ نَمْوَلُونَ ﴾ أي: تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة » (٢٠).

«وقوله: ﴿ لَمُلَكُّمُ نُمْقِلُونَ ﴾ رجاء أن يعقلوا، أي: يصيروا ذوي عقول؛ لأن ملابسة بعض هذه المحرمات ينبئ عن خساسة عقل، بحيث ينزل ملابسوها منزلة من لا يعقل، فلذلك رجي أن يعقلوا» (٣٠).

«ذلكم وصاكم به الله، وأرشدكم، لتعقلوا الخير والمنفعة في فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، إذ هو مما تدركه العقول، وفي هذا تعريض بأن ما هم عليه لا يعقل له

وسنا معنى، ولا تظهر له فائدة عند ذوى العقول أنت الراجحة»^(٤).

«لعلكم تعقلون عن الله أوامره ونواهيه، أي: ليعدكم لأن تعقلوا الخير والمصلحة في فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه»(٥).

قال تعالى: ﴿ أَمْ مَانَيْنَاهُمْ كِتَنَبَاقِنَ قَبْلِهِمُ فَهُم بِهِمُ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿ ثَلَ مَانُوهِم مُهْتَدُونَ ﴿ ثَلَ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا عَالَتُهُمَا عَلَىٰ مَانُوهِم مُهْتَدُونَ ﴿ ثَلَىٰ عَلَىٰ مَانُوهِم مُهْتَدُونَ ﴿ ثَلَا عَلَىٰ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةِ مِن نَدِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَقُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمْنَةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ مَانُوهِم مُقْتَدُونَ ﴿ ثَلَ الْجَاءَةُ مُ قَالَوا إِنَّا عِلَىٰ الْمُتَوْمِعُ مُقْتَدُونَ ﴿ ثَلَ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

أنا أتبرأ مما تعبدون إلا من الله عز وجل، ويجوز أن يكون ﴿إِلَا ﴾ بمعنى لكن، فيكون المعنى: لكن الذي فطرني فإنه سيهديني، أي: سيرشدني لدينه ويوفقني لطاعته (٢).

«يعني: بريء من معبودكم، إلا الذي خلقني، فإني لا أتبرأ منه، ﴿فَإِنَّهُۥسَيَّهُدِينِ﴾

⁽٤) التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، ١/ ١٨٢.

⁽٥) التفسير المنير، الزحيلي، ٩٨/٨.

⁽٦) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٧/ ٢٦٩.

⁽۱) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، ٣١٥/٤

⁽٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٣/ ١٩٩.

⁽٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٨ أ/ ١٦٢.

يعنى: يثبتني على دين الإسلام»(١).

«قال ذلك ثقة بالله وتنبيها لقومه أن الهداية من ربه» (٢).

«لكن الذي فطرني هو معبودي الهادي المنجي من العذاب، وفي هذا استدعاءٌ لهم، وترغيبٌ في طاعة الله، وتطميع في رحمته»(٣).

فصاحب العقل السليم والفطرة السليمة، يمنع نفسه من ارتكاب المعاصي والوقوع في المحرمات، وذلك لأن العقل معناه: الكف والحبس، فهو يحبس صاحبه ويكفه عن كل ما يغضب الله سبحانه وتعالى.

رابعًا: البعد عن التقليد المذموم:

أرسل الله تعالى الرسل لهداية الناس والأخذ بأيديهم من الظلمات إلى النور وهداية قلوبهم بنور الإيمان، بعد ما كانت مظلمة بظلمة الكفر، واتباعهم لتقاليد الآباء الكفرية والشركية التي هي بعيدة كل البعد عن شريعة الإسلام، ولكن بعضهم رفضوا الانقياد لمنهج الله القويم، فكان عقابهم جهنم وبئس المصير، فخسروا الدنيا والآخرة، وشبههم الله تعالى بالأنعام بل هم أضل سبيلًا؛ لتعطيلهم عقولهم عن الفهم والإدراك، وصمهم لأذانهم، وطمس

أبصارهم عن نور الهداية والإيمان.

إن البشرية قد بلغت رشدها فأصبحت تقاد بالعقل وحده، ولم يعد ينفع معها مجرد الخوارق والقوارع الملجئة أو شبه الملجئة، فجاء الإسلام دينًا منطقيًّا، رفع من قيمة العقل، ثم هو بعد ذلك يذم التقليد وينعي على المقلدين لآبائهم وأحبارهم ورهبانهم (3).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَمُمُ اللَّهِ عُواْ مَا أَنزِلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَشَيعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ اَبَاءَنَّ أَوَلُوْ كَانَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَشَيعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ اَبَاءَنَّ أَوْلُوْ كَانَ اللَّهِ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ مَا أَلْوَى مَنْ اللَّهِ مَا أَلَا يَهْ مَدُونَ اللَّهِ وَمَثَلُ اللَّذِينَ كَعْرُواْ كَمَثُوا اللَّهِ يَهْ مَدُونَ اللَّهِ مَا لَكُونَ اللَّهُ مُمْ اللَّهُ عُمْدًا لَا اللّهُ اللّ

«﴿لَا يُمْ قِلُونَ شَيِّعًا ﴾ يعني لا يعلمون شيئا من أمر الدين، لفظه عام ومعناه خاص، وذلك أنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا ﴿وَلَا يَهِ مَدُونَ ﴾ أي: إلى الصواب»(٥).

فقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَمُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ ﴾ يعني: كفار قريش من بني عبد الدار، قالوا: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ عَابَاءَنَا ﴾ من عبادة الأصنام. فقال الله: ﴿أَوَلُو كَانَ عَابَ أَوُهُمُ لَا يَعْقِلُونَ شَيْعًا ﴾ من التوحيد ومعرفه الرحمن ﴿وَلَا يَهْ تَدُونَ ﴾ للحجة البالغة لا يعقلون شيئًا

⁾

⁽١) تفسير السمرقندي، ٣/ ٢٥٥.

 ⁽۲) النكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٢٢٢.
 (۳) الجواهر الحسان، الثعالبي، ٥/ ١٧٨.

⁽٤) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، محمد حسين الذهبي، ١/ ٥٩.

⁽٥) لباب التأويل، الخازن، ١٠٢/١.

من أمر الدين ولا يهتدون، معنى الآية في أحد الأقوال: ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله عز وجل وعن رسوله وسوء قبولهم عنهما كمثل المنعوق به من البهائم، التي لا تفقه من الأمر والنهي غير الصوت، فكذلك الكافر في قلة فهمه وسوء تفكره، الكافر ليس له من دعائه الآلهة وعبادته الأوثان إلا العناء والبلاء، ولا ينتفع منها بشيء فهم لا يعقلون (١١).

«يقول تعالى ذكره لهؤلاء الكفار: فكيف أيها الناس تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم فتتركون ما يأمركم به ربكم، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئًا، ولا هم مصيبون حقًا، ولا مدركون رشدًا؟ وإنما يتبع المتبع ذا المعرفة بالشيء المستعمل له في نفسه، فأما الجاهل فلا يتبعه -فيما هو به جاهل— إلا من لا عقل له ولا تمييز» (٢).

«معناه أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالًا فيتابعوهم بغير حجة؟ فكأنه نهاهم عن التقليد وأمرهم بالتمسك بالحجة»(٣).

«وفي هذا دلالة على ذم التقليد، وهو قبول الشيء بلا دليل ولا حجة. وحكى ابن عطية أن الإجماع منعقد على إبطاله في العقائد. وفي الآية دليل على أن ما كان عليه آباؤهم هو مخالف لما أنزل الله، فاتباع

- (١) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي، ٢/ ٤٣.
 - (٢) جامع البيان، الطبري، ٣/٣٠٧.
 - (٣) تفسير السمرقندي، ١١٢/١.

أبنائهم لآبائهم تقليد في ضلال. وفي هذا دليل على أن دين الله هو اتباع ما أنزل الله، لأنهم لم يؤمروا إلا به (٤).

وهكذا نجد كيف أن الله تعالى ذم المقلدين للآباء أو الرؤساء الجهال، والمعرضين عن اتباع منهج الله تعالى وتعاليمه.

قال تعالى: ﴿ أَمْ مَالَيْنَاهُمْ كَتَنَبَامِن قَبَلِهِ مَهُمْ يَهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿ ثُلُ بَلُ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا مَهُمْ يَهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿ ثَلُ اللَّهِم مُهْتَدُونَ ﴿ ثَلَ اللَّهِم مُهْتَدُونَ ﴿ ثَلَ اللَّهِ مَلَا اللَّهِ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِن نَّذِيرٍ إِلَّا وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمْةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ عَلَىٰ أَمْةً وَإِنَّا عَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَإِنَّا عَلَىٰ اللَّهُ وَإِنَّا عَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَإِنَّا عَلَىٰ اللَّهُ الْمُنْ الْمُؤْلِقُ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُؤْلِقُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُؤْلِقُ الْمُلْعُلِيْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُنْ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُنْ الْمُؤْلِقُلْمُ الْمُنْ الْمُؤْلُولُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُولُولُولُولُول

«وفي هذا دليل على إبطال التقليد، لذمه إياهم على تقليد آبائهم وتركهم النظر فيما دعاهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم»(٥).

«أي: لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية بل اعترفوا بأن لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم»(٢٠).

«وهذا من أعظم الأدلة الدالة على بطلان التقليد وقبحه، فإن هؤلاء المقلدة في الإسلام إنما يعملون بقول أسلافهم، ويتبعون آثارهم، ويقتدون بهم، فإذا رام

⁽٤) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، ١٠٣/٢.

⁽٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٦/ ٧٥.

⁽٦) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٨/ ٤٣.

الداعي إلى الحق أن يخرجهم من ضلالة، أو يدفعهم عن بدعة قد تمسكوا بها وورثوها عن أسلافهم بغير دليل نَيِّر، ولا حجة واضحة، بل بمجرد قال وقيل لشبهة داحضة، وحجة زائفة، ومقالة باطلة، قالوا بما قاله المترفون من هذه الملل: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون»(١).

«أي: لم يأتوا بحجة عقلية، أو نقلية، و الله اعترفوا بتقليد آبائهم الجهلة، وقالوا: إنا وجدنا آباءنا على حالة عظيمة تقصد، وإنا مهتدون على أعمالهم، وكذلك، أي: والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد» (٢).

«وهذا الاحتجاج من هؤلاء المشركين الضالين، بتقليدهم لآبائهم الضالين، ليس المقصود به اتباع الحق والهدى، وإنما هو تعصب محض، يراد به نصرة ما معهم من الباطل»(۳).

« هذا الكلام مسوقًا مساق الذم لهم إذ لم يقارنوا بين ما جاءهم به الرسول وبين ما تلقوه من آبائهم، فإن شأن العاقل أن يميز ما يلقى إليه من الاختلاف ويعرضه على معيار الحق» (٤).

اليست لهم حجة عقلية ولا حجة نقلية

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٥٦/ ١٨٧.

تبرر لهم أفعالهم، وإنما السبب الحقيقي أنهم يقلدون آباءهم تقليد الأعمى مع التعصب الشديد ولو كانوا على باطل (٥٠).

«وهذا دليل على إبطال التقليد في العقائد والأصول، لأن الله ذمهم على تقليد آبائهم، وتركهم النظر فيما دعاهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم»(٢).

«قال سبحانه عن أهل النار: ﴿ وَقَالُوا لَوْكُنَّا نَسَمُعُ أَوْنَعَقِلُ مَا كُنَّافِ أَصْلَبِ السَّعِيرِ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ الل

فقد كانت لديهم عقول وأسماع لزمتهم بها الحجة عند الله تعالى»(٧).

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱنَّبِعُواْ مَا أَنْزِلُ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ مَاكِنَاءَنَا أَوْلَقَ كَانَ ٱلشَّيْطَنَ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ آلَهُ القَمان: ٢١].

« بين أن مجادلتهم مع كونها من غير علم فهي في غاية القبح، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم إلى كلام الله، وهم يأخذون بكلام آبائهم، وبين كلام الله وكلام العلماء بون عظيم، فكيف ما بين كلام الله وكلام الجهال؟!»(٨).

⁽١) فتح القدير، الشوكاني، ٤/ ٦٣٢.

⁽٢) مرآح لبيد، محمد الجاوي، ٢/ ٣٨٢.

⁽٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٧٦٤.

⁽۵) التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، ٣/ ٣٨٩.

⁽٦) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٥/ ١٣٩.

⁽٧) مقام العقل في الإسلام، د.محمد عمارة، ص

⁽۸) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ١٥/١٥.

﴿ ﴿ وَالُّواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ عَابَآءَنَا ﴾ أي:

وإذا قيل لهؤلاء المجادلين في توحيد الله: اتبعوا ما أنزل الله على رسوله من الشرائع المطهرة، لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين فيما اعتقدوه من دين. وهذا في غاية القبح، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى كلام الله الهادي إلى الحق والخير، وهم يأخذون بكلام آبائهم. وهذا منع صريح من التقليد في أصول العقيدة، لذا وبخهم الله على سوء مقالتهم»(١).

«فهذا هو سندهم الوحيد، وهذا هو دليلهم العجيب! التقليد الجامد المتحجر الذي لا يقوم على علم ولا يعتمد على تفكير. التقليد الذي يريد الإسلام أن يحررهم منه، وأن يطلق عقولهم لتتدبر ويشيع فيها اليقظة والحركة والنور، فيأبوا هم الانطلاق من إسار الماضي المنحرف، ويتمسكوا بالأغلال والقيود.

إن الإسلام حرية في الضمير، وحركة في الشعور، وتَطَلَّعٌ إلى النور، ومنهج جديد للحياة، طليق من إسار التقليد والجمود. ومع ذلك كان يأباه ذلك الفريق من الناس، ويدفعون عن أرواحهم هداه، ويجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير» (٢). وإذا دعوا إلى اتباع وحي الله رجعوا إلى

(۱) التفسير المنير، الزحيلي، ٢١/ ١٦٠. (٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٧٧٩٣/٠. (٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٣/٤

التقليد المحض بغير حجة فسلكوا طريق الأباء، فكان القائل منهم يقول: هم يتبعون دين آبائهم ولو كان مصيرهم إلى السعير (٣).

خامسًا: إدراك الحكمة من الأحكام الشرعية:

لقد مَنَّ الله علينا بنعمة العقل، لنهتدي

به خلال رحلة الحياة، فعن طريقه نعبد الله

تعالى على بصيرة، حيث نتدبر الأحكام الشرعية، نتعلمها ونفهمها ونتفقه ما بها من أوامر ونواه، فبإدراكنا الحكمة يزداد اليقين، ويقوى الإيمان، وتتسع مدارك العقول كلما استنار الإنسان بعلم الله تعالى وهدايته لنا. «إن الآيات التشريعية التي تبين فضل الله على الناس في تشريع الأحكام لهم كثيرة تكفل القسم المدنى من القرآن بها، وجاءت وفق مبادئ الإسلام العظيم في التيسير ورفع الحرج وغيرها، مما ميز طبيعة التشريع الإسلامي عن غيره، وهنا فنحن أمام مجموعة من الآيات المتحدثة عن حكمة تحريم الخمر والميسر، وعن مشروعية النفقة والصدقة، وعن أهمية سنة الزواج، وهي أمور قليلة إن قورنت بمجموع ما تحدث عنه القرآن في مسائل التشريع، لكن طلب التفكير فيها ربما لأمور خفية قد

لا تدرك بمجرد العقل أو السمع، فلا بد من

⁽٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٤/ ٣٥٣.

إعمال الفكر فيها»⁽¹⁾.

«القرآن العظيم جاء بهدايات كاملة تامة، تفي بحاجات جميع البشر في كل زمان ومكان؛ لأن الذي أنزله هو العليم بكل شيء، خالق البشرية والخبير بما يصلحها ويفسدها، وما ينفعها ويضرها، فإذا شرع أمرًا جاء في أعلى درجات الحكمة والخبرة، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَمْلُمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ الملك: ١٤].

ويزداد الوضوح عند التأمل في أحوال الأنظمة والقوانين البشرية التي يظهر عجزها عن معالجة المشكلات البشرية، ومسايرة الأوضاع والأزمنة والأحوال، مما يضطر أصحابها إلى الاستمرار في التعديل والزيادة والنقص، فيلغون غدًا ما وضعوه اليوم؛ لأن الإنسان محل النقص والخطأ، والجهل لأعماق النفس البشرية، والجهل بما يحدث غدًا في أوضاع الإنسان وأحواله وفيما يصلح البشرية في كل عصر ومصر»(٢).

قال تعالى: ﴿ كَذَالِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ مَعْقِلُونَ ﴿ كَذَالِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ مَعْقِلُونَ ﴿ الْبَقِرة: ٢٤٢]. «أي: لكي تعقلوا ما بينت لكم من الفرائض والأحكام وما فيه صلاحكم

"ولما بين تعالى هذه الأحكام العظيمة المشتملة على الحكمة والرحمة امتن بها على عباده فقال: ﴿كَذَالِكُ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُّ مَعْقِلُونَ ﴿ كَذَالِكُ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُّ مَعْقِلُونَ ﴿ اللّهُ اللّهُ عَلَامُكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ اللّهُ اللّهُ عَلَامُ النافعة لكم، لعلكم تعقلونها فتعرفونها وتعرفون المقصود منها، فإن من عرف ذلك أوجب له العمل بها (٤).

«فكذلك أبين لكم سائر الأحكام في آياتي التي أنزلتها على نبيي محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب، لتعقلوا - أيها المؤمنون بي وبرسولي - حدودي، فتفهموا اللازم لكم من فرائضي، وتعرفوا بذلك ما فيه صلاح دينكم ودنياكم، وعاجلكم وآجلكم، فتعملوا به ليصلح ذات بينكم، وتنالوا به الجزيل من ثوابي في معادكم»(٥).

"وعد بأنه سيبين لعباده من الدلائل والأحكام ما يحتاجون إليه معاشًا ومعادًا. لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها (٢٠).

«أي: مثل هذا التبيين الذي سبق من الأحكام، يبين لكم في المستقبل ما بقي من الأحكام التي يكلفها العباد. لعلكم تعقلون ما يراد منكم من التزام الشرائع والوقوف

وصلاح دينكم»(٣).

⁽٣) لباب التأويل، الخازن، ١٧٦/١.

⁽٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص١٠٦.

⁽٥) جامع البيان، الطبري، ٥/ ٢٦٦.

⁽٦) أنوار التنزيل، البيضاوي، ١٤٨/١.

⁽۱) مصطلح التفكر كما جاء في القرآن الكريم، مجلة الشريعة والقانون، د.محمد خازر المجالي، ص ٥٢.

⁽۲) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، القحطاني، ١/٠٥.

عندها، لأن التبيين للأشياء مما يتضح للعقل بأول إدراك، بخلاف الأشياء المغيبات والمجملات، فإن العقل يرتبك فيها، ولا يكاد يحصل منها على طائل (١).

قال تعالى: ﴿ فَأَنَّ مَكَالُواْ أَتَلُ مَا حَرَّمُ رَبُّكُمُ عَلَيْتِكُمُ أَلَّا ثُمْرِكُواْ بِيهِ شَيْعًا وَبِالْمَثِمُ وَالْمَالُواْ أَوْلَىٰدَكُم مِنْ وَبِالْمَلْقِ فَعْنُ نَرْزُقُكُمُ وَإِيّاهُمْ وَلَا تَقْمَرُوا إِمْلَتَ فَعْنُ نَرْزُقُكُمُ وَإِيّاهُمْ وَلَا تَقْمَرُوا الْفَوَرِحِينَ مَا ظَلْهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْمَرُوا تَقْمُلُوا النّفُسَى الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِ ذَلِكُو وَصَالِمُ اللهُ اللهُو

«أي: ليعدكم لأن تعقلوا الخير والمصلحة في فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه»(٣).

«أي: وصاكم الله بذلك لما فيه من إعدادكم، وباعث الرجاء في أنفسكم لأن تعقلوا ما فيه الخير والمنفعة في ترك ما نهى عنه وفعل ما أمر به، فإن ذلك مما تدركه العقول الصحيحة بأدنى تأمل، وفيه دليل على الحسن الذاتي وإدراك العقول له بنظرها، وإذا هي عقلت ذلك كان عاقلا لها ومانعا من المخالفة. وفيه تعريض بأن ما هم

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، ٨/ ٩٨.

عليه من الشرك وتحريم السوائب وغيرها، مما لا تعقل له فائدة، ولا تظهر للأنظار الصحيحة فيه مصلحة»(٤).

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَنَّ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَنَّ وَلَا عَلَى ٱلْمُوتِ الْمُهَنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَمْهَنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَنَيْتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَنَيْقِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَنَيْتِكُمْ أَوْ فَيَا أَنَاقِهُمْ أَوْ بُيُوتِ عَنَيْتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَنَيْتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَنَيْتِكُمْ أَوْنَ أَنْهُمْ أَوْلِكُمْ أَوْنَ عَنَالِكُمُ أَوْنَ عَنْ عَنْهُونَ عَنِيلِكُمْ أَوْنَ عَنِيلِكُمْ أَوْنَ عَنِيلِكُمْ أَوْنَ اللَّهُ عَنْ عَنْهِمُ أَنْ أَنْ أَنْ عَلَيْتُ عَنْ عَنْ عِنْهِ أَنْ فَالْمُونِ عَلَالِكُ عُنْهُمُ أَلِكُمُ أَنْهُ لَكُمْ أَلْكُمُ أَلِكُمْ أَلِكُمْ أَلِكُمْ أَلِكُمْ أَلِكُمْ أَلِكُمْ أَلِكُمْ أَلْكُمْ أَلِكُمْ أَلْكُونَ عَلَيْكُمْ أَلِكُمْ أَلْكُمْ أَلِكُمْ أَلِكُونَا عَلِكُمْ أَلِكُمْ أَلِكُمْ أَلِكُمْ أُلِكُمُ أُلِكُمْ أَلِكُمْ أَلِلْكُمُ أَلِكُمُ أَلِكُمُ أُلُولُوا عَلَى أَلْكُمُ أَلِكُو

«فأنزل سبحانه لهم في كل وقت شرعًا يليق بذلك الزمان على لسان رسول من رسله عليهم الصلاة والسلام، جعل ذلك الشرع يطابق العقل السوي، والنور الضوي، والمنهل الروي، والسبب القوي، من تمسك به هدي ولم يزغ، حد فيه سبحانه حدودًا، وأقام فيه زواجر، لتظهر حكمته، ويتضح علمه وقدرته، فصارت شرائع متفقة الأصول، مختلفة الفروع، بحسب الأزمنة، إشارة إلى أن الفاعل في تغيير الأحكام

⁽١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ٢/ ٥٥٥.

⁽٢) مراح لبيد، محمد الجاوي، ١/ ٣٥٤.

⁽٤) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١٦٦/٨.

بحسب الأزمان واحد مختار، وامتحانًا للعباد، تمييزًا لأهل الصلاح منهم من أهل الفساد»(١).

«أي: ما في تضاعيفها من الشرائع والأحكام، وتعملون بموجبها، وتحوزون بذلك سعادة الدارين»(٢).

«تعليل لذلك التبيين برجاء تعقل آيات الله سبحانه وفهم معانيها» (٣).

«﴿ كَذَالِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ اللّهُ لَكُمُ اللّهُ لَكَمُ الله لَكُمُ الله الله الله الله وحكمها، ﴿ لَعَلَّاكُمُ مَعْقِلُونِ ﴾ عنه فتفهمونها، وتعقلونها بقلوبكم، ولتكونوا من أهل العقول والألباب الرزينة، فإن معرفة أحكامه الشرعية على وجهها، يزيد في العقل، وينمو به اللب، لكون معانيها أجل المعاني، وآدابها أجل الأداب، ولأن الجزاء من جنس العمل، فكما استعمل عقله للعقل عن ربه، وللتفكر في آياته التي دعاه إليها، زاده من ذلك (٤).

«وكذلك يبين الله للناس آياته وحكمه لعلهم يدركون المنهج الإلهي، ولعلهم يعقلون ما في هذه الآيات والحجج» (٥٠). نجد أنه من الحكمة التدبر في الآيات

(٥) أيسر التفاسير، أسعد حومد، ١/ ٢٧٣٤.

والأحكام الشرعية، ونوقن بأن الله تعالى حد الحدود ووضع القيود، والفرائض والسنن لحكمة، بعضها أعلمنا بها، وبعضها أخفى سرها ولا يعلمها إلا هو سبحانه لغاية يريدها هو.

سادسًا: عدم اتباع الشيطان:

العاقل من ائتمر بأوامر الله عز وجل، حيث نهانا عن اتباع الشيطان؛ لأنه عدو لنا، ولا يريد لنا إلا الغواية والضلالة، لذا علينا أن نكون دائمًا يقظين، وعقولنا وقلوبنا متنبهة؛ لئلا يوقعنا في شركه، ونحن في غفلة فنخسر دنيانا وأخرانا، نسأل الله السلامة.

قال تعالى: ﴿ الله الله المَهُ الله المَهُ الله المَهُ يَنبَينَ ادَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيَطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوُّ مُبِينُ ۞ وَأَنِ اعْبُدُونِ هَنذَا صِرَطُّ مُسْتَقِيمٌ ۞ وَلَقَدْ أَضَلَ مِنكُوْ جِبِلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَقْقِلُونَ ۞ ﴿ [بس: ٢٠-٢٢].

«أي: لا تطيعوا الشيطان في معصية الله»(٦).

«قد رأيتم آثار الهالكين قبلكم بطاعة الشيطان، أفلم تعقلوا ذلك؟!»(٧).

القوله عز وجل: ﴿ اللهِ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَنْكِينَ عَادَمَ ﴾ أي: ألم آمركم وأوصيكم يا بني آدم ﴿ آن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ يعني: لا تطيعوه فيما يوسوس ويزين لكم من معصية

⁽١) نظم الدرر، البقاعي، ١٣/ ٣٢١.

⁽٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٦/ ١٩٧.

⁽٣) فتح القدير، الشوكاني، ٢٣/٤.

⁽٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٥٧٥.

⁽١) معالم التنزيل، البغوي، ٧/ ٢٣.

⁽٧) زاد المسير، الجوزي، ٣/ ٢٩.

الله ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُولُ مُبِينٌ ﴾ أي: ظاهر العداوة، ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِ ﴾ أي: أطيعوني ووحدوني ﴿هَنَا صِرَطُ مُسْتَقِيمٌ ﴾ أي: لا صراط أقوم منه قوله تعالى: ﴿ وَلِقَدْ أَضَلَ مِنكُرْ حِبِلًا كَثِيرًا ﴿ أَفَلَمْ مِنكُرْ حِبِلًا كَثِيرًا ﴿ أَفَلَمْ مَن هلاك تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ يعني: ما أتاكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس » (١).

هذا تقريع من الله للكفرة من بني آدم، الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين، وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم؛ واتبعتم الشيطان فيما أمركم به، أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له، وعدولكم إلى اتباع الشيطان؟! (٢).

ألم أوصكم يا بني آدم أن لا تطيعوا الشيطان فيما يوسوس به إليكم من المعاصي، لأنه لكم عدو مبين واضح العداوة، ولقد أضل الشيطان منكم يا بني آدم أممًا كثيرة، أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم أفَلَمَ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ أنها لضلالهم، أو أفلم تكونوا تعقلون شيئًا أصلًا، فلذلك كفرتم ككفرهم واستحققم العذاب مثلهم (٣).

«رجوع إلى بيان معاداة الشيطان مع

(١) لباب التأويل، الخازن، ١١/٤.

ظهور عداوته ووضوح إضلاله لمن له أدنى عقل ورأي»(٤).

«فالشيطان يأمر البعض بترك عبادة الله وبعبادة غيره فهو تولية، فإن لم يقدر يأمره بعبادة الله لأمر غير الله من رئاسة وجاه وغيرهما فهو صد، وهو يفضي إلى التولية؛ لأن مقصوده لو حصل لترك الله وأقبل على ذلك الغير فتحصل التولية».

« ﴿ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴾ عداوة الشيطان لكم » (٢).

أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ
 أَيها المشركون، إذ أطعتم الشيطان في عبادة غير الله، أنه لا ينبغي لكم أن تطيعوا عدوكم وعدو الله، وتعبدوا غير الله (٧).

«﴿ اَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل» (^).

«﴿ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ عداوته وتعلموا أن الواجب طاعة الله (٩).

قال تعالى: ﴿ يَنَا أَيُهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَبِعُوا خُطُوَتِ الشَّيَطُنِ الشَّيَطُنِ الشَّيَطُنِ الشَّيَطُنِ اللَّهُ لَكُمْ عَدُوً مُبِينُ ﴿ اللَّهُ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوَ وَاللَّهُ مَا لَا نَعُلُونَ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ وَالْفَحَدُ لَا فَعَلَمُونَ وَالْفَحَدُ مَا لَا فَعَلَمُونَ وَالْفَحَدُ اللَّهِ مَا لَا فَعَلَمُونَ

⁽٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، بن كثير، ٦/ ٥٨٤.

⁽٣) انظر: التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ٣٨٠/٨

⁽٤) أنوار التنزيل، البيضاوي، ٤/ ٢٧٢.

⁽٥) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٦/ ٣٠١.

⁽٦) فتح القدير، الشوكانيّ، ٤٣٣/٤.

⁽V) جامع البيان، الطبري، ۲۰/ ٥٤٣.

⁽٨) مدارك التنزيل، النسفى، ٣/ ١٠٩.

⁽٩) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٥/ ٤٧.

🕽 [البقرة: ١٦٨-١٦٩].

فهذا نهي عن اتباع وحي الباطل والشر، لأنه من إغواء الشيطان، ثم بين كيفية عداوته وفنون شره وإفساده فقال: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِاللَّهُوّءِ وَٱلْفَحْثَاءِ ﴾ أي: إنما يوسوس الشيطان ويتسلط عليكم، كأنه آمر مطاع بأن تفعلوا ما يسوؤكم في دنياكم وآخرتكم، وأن تجترحوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والتصرف في الأكوان بدون اتخاذ الأسباب قد ضلوا ضلالًا بعيدًا واتبعوا أمر الشيطان، ومثلهم من اتخذ رأي الرؤساء حجة في الدين من غير أن يكون بيانًا أو تبليغًا لما جاء عن الله، فهؤلاء قد أعرضوا عن سنن الله، وأهملوا نعمة العقل، واتخذوا من دون عادى لله الأنداد، قال تعالى: ﴿ مَن يُضَلِل الله فَهَا لَهُ مَا الله الأنداد، قال تعالى: ﴿ مَن يُضَلِل الله فَهَا لَهُ الله الأنداد، قال تعالى: ﴿ مَن يُضَلِل الله فَهَا لَهُ الله الأنداد، قال تعالى: ﴿ مَن يُضَلِل الله فَهَا لَهُ الله الأنداد، قال تعالى: ﴿ مَن يُضَلِل الله فَهَا لَهُ الله المُنافِق الله الأنداد، قال تعالى: ﴿ مَن يُضَلِل الله فَهَا الله المُنافِق الله المُناف المَا الله المُناف المَا الله المُناف المَا الله المُناف المَا الله المُناف المُناف المَا المَا المَا الله المُناف المُناف المَا الله المُناف المَا المَا المَا المَا المَا المَا المَا المَا المُناف المُناف المُناف المُناف المَا المُناف المَا الم

ويأمركم أن تقولوا على الله في دينه ما لا تعلمون علم اليقين أنه شرعه لكم من عقائد وشعائر دينية، أو تحليل ما الأصل فيه التحريم، أو تحريم ما الأصل فيه الإباحة، ففي كل ذلك اعتداء على حق الربوبية بالتشريع، وهذا أقبح ما يأمر به الشيطان، فإنه الأصل في إفساد العقائد وتحريف الشرائع (١)، أي: لا تطيعوه. وهذا التوبيخ يدخل فيه التوبيخ عن جميع أنواع الكفر

والمعاصي؛ لأنها كلها طاعة للشيطان وعبادة له، فحذرتكم منه غاية التحذير، وأنذرتكم عن طاعته، وأخبرتكم بما يدعوكم إليه.

وَأَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: فلا كان لكم عقل يأمركم بموالاة ربكم ووليكم الحق، ويزجركم عن اتخاذ أعدى الأعداء لكم وليا، فلو كان لكم عقل صحيح لما فعلتم ذلك، فإذا أطعتم الشيطان وعاديتم الرحمن وكذبتم بلقائه ووردتم القيامة دار الجزاء وحق عليكم القول بالعذاب (٢).

"وفرع عليه توبيخهم بقلة العقول بقوله:

أَنَامَ تَكُونُوا تَمْقِلُونَ ﴾، فالاستفهام إنكاري عن عدم كونهم يعقلون، أي: يدركون، إذ لو كانوا يعقلون لتفطنوا إلى إيقاع الشيطان بهم في مهاوي الهلاك. وزيادة فعل الكون للإيماء إلى أن العقل لم يتكون فيهم ولا هم كائنون به (").

«ألا تطيعوه، والمراد: عبادة غير الله من الآلهة الباطلة، مما زين به الشيطان وأمر به، فهو لكم ﴿عَدُونَ مَبِينُ ﴾ بين العداوة، ﴿وَأَنِ اعَبُدُونِ ﴾ وحدوني وأطيعوني، أي: ألم أعهد إليكم بترك عبادة الشيطان، وبعبادتي. ﴿هَنَذَا صِرَطُ مُسْتَقِيمٌ ﴾ أي: طريق معتدل قويم، وهو دين الإسلام، أفلم تكونوا تعقلون

⁽١) انظر: تفسير المراغى، ٢/ ٤٤.

⁽٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٩٨.

⁽٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٣/ ٤٩.

عداوة الشيطان وإضلاله لكم؟!»(١).

«لقد عهدت إليكم يا بنى آدم عهدًا مؤكدا على ألسنة رسلي، أن لا تعبدوا الشيطان وأن لا تستمعوا لوسوسته، وأن لا تتبعوا خطواته، لأنه لكم عدو ظاهر العداوة، بحيث لا تخفى عداوته على أحد من العقلاء»(٢).

وهكذا نجد أن النجاة في مخالفة الشيطان، ولا يكون ذلك إلا باستعمال العقل السليم الذي يعرف الله ويخشاه ويهتدي بهدي محمد صلى الله عليه وسلم.

سابعًا: الأدب والتوقير للرسول الكريم والعلماء:

لقد أرسل الله تعالى لنا الرسل لتنير عقولنا وقلوبنا بنور الهداية والإيمان، لذا علينا اتباعهم بالحسنى واحترامهم وتوقيرهم كما أمرنا ربنا سبحانه وتعالى، لأننا عن طريقه صلى الله عليه وسلم وصلنا القرآن، وتعرفنا على منهج الهداية والإيمان والشريعة الصحيحة السليمة، وعرفنا كيف نصد الشيطان ونستمر في طريق الهدى والتقوى، وكيفية التعامل مع الآخرين من أهل وأقارب وجيران.

أما الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أخل كثير من الناس بواجبهم تجاهه، بل هم يرون الغارات تشن وبشكل

مستمر ومبرمج من اليهود والنصارى ومن لا أخلاق له، ولا يحركون ساكنًا، فقد دأب أعداء الله يملؤون الصحف والمنتديات الإلكترونية والكتب المدرسية الغربية بسمومهم وهجومهم الموبوء وإساءاتهم المتكررة، ولا زالوا منذ البعثة إلى يومنا هذا يتعاونون على الإثم والعدوان على رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم. وقد كشف الله سبحانه حقيقتهم في القرآن الكريم، وفضح حقدهم الدفين في الصد عن شريعة خاتم الأنبياء والمرسلين.

قَالَ تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُواْ لَا تَرْفَعُواْ الْمَسُواْ لَا تَرْفَعُواْ الْمَسُواْ لَلَهُ بِالْقَوْلِ الْمَسْوَتِ النَّبِي وَلَا تَجْهَرُواْ لَلَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِ حَمْمُ لِبَعْضِ أَن تَعْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُدُ لَا مَشْعُرُونَ اللهِ [الحجرات: ٢].

ونطقتم، ولا تجهروا له بالقول إذا كلمتموه؛ ونطقتم، ولا تجهروا له بالقول إذا كلمتموه؛ لأن رتبة النبوة والرسالة يجب أن توقر وتجل، ولا يكون الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم كالكلام مع غيره، وكره العلماء رفع الصوت عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبحضرة العالم، وفي المساجد (٣).

«أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ويعظموه، ولا يرفعوا أصواتهم عنده، ولا ينادوه كما

⁽١) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٣/ ٣٥.

⁽٢) التفسير الوسيط، طنطأوي، ١٢/ ٤٥.

⁽٣) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ٩/ ٧٠٠.

« ﴿ يَتَأَيُّهَا اللَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُواْ أَصُونَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيّ ﴾ يحتمل أن المراد حقيقة رفع الصوت؛ لأن ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام؛ لأن خفض الصوت وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير » (٢).

«هذه آداب أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول صلى الله عليه وسلم من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام»(۳).

«يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي عند مخاطبتكم له، ولا تجهروا بمناداته كما يجهر بعضكم لبعض، وميزوه في خطابه كما تميز عن غيره في اصطفائه لحمل رسالة ربه، ووجوب الإيمان به، ومحبته وطاعته والاقتداء به؛ خشية أن تبطل أعمالكم وأنتم لا تشعرون ولا تحسون بذلك» (٤).

«وفي هذا ما فيه من الحث على توقير العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وتعظيم

الأتقياء والصلحاء؛ أسوة بتوقير سيد الأنبياء»(٥).

« فأمرهم الله بتوقيره، وأن يدعوه بالنبوة والرسالة والكلام اللين، وكره العلماء رفع الصوت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وبحضرة العالم وفي المساجد، وحرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتًا كحرمته حيًّا، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه»(٢).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاتَهِ ٱلْمُجْرَاتِ ٱحْتَأَرُهُمْ لَا يَمْقِلُونَ ﴿ اللَّهُ ﴾

[الحجرات: ٤].

«وصفهم بالجهل وقلة العقل»(٧).

وَأَحَارُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ إذ العقل يقتضي حسن الأدب ومراعاة الحشمة، سيما لمن كان بهذا المنصب. لكان الصبر خيرًا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب(^).

والكتاب العزيز مملوء بدعوة العقلاء إلى الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه الرحمة، وهو المثل، والهادي البشير، والسراج المنير، كيف لا وهو صلى الله عليه وسلم القدوة الكاملة والأسوة الحسنة لكل

⁽١) لباب التأويل، الخازن، ٤/ ١٧٦.

⁽٢) اللبأب في علوم الكتاب، ابن عادل، ٥٢/١٧ م.

⁽٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٣٦٤.

⁽٥) أوضح التفاسير، محمد الخطيب، ١/ ٦٣٣.

⁽٦) الجواهر الحسان، الثعالبي، ٥/ ٢٦٨.

⁽V) لباب التأويل، الخازن، ٤ / ١٧٧.

⁽٨) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ٥/ ١٣٤.

من كان يرجو الله واليوم الآخر؟!

قال تعالى: ﴿ لَقَدَكَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللّهِ أَسُورُ ٱللّهِ أَسُورُ أَلْكُمْ فِي رَسُولِ ٱللّهِ أَسُورُ أَسَرَةً كَانَ يَرْجُوا ٱللّهَ وَالْيُومَ ٱلْآخِرُ وَلَكّرَ اللّهَ كَانَ يَرْجُوا ٱللّهَ كَالْيُومَ ٱلْآخِرُ وَلَكّرَ اللّهَ كَانِيرًا اللّهَ كَانِيرًا اللّهَ كَانِيرًا اللّهَ كَانِيرًا اللّهَ كَانِيرًا اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

شرح الله صدره، ووضع وزره، ورفع ذكره، وأوجب طاعته، وحرم خيانته، وما تخلف ركب الأمة اليوم إلا يوم أن تخلفت عن الأدب معه صلى الله عليه وسلم، وما تجرع أفراد الأمة مرارات البعد عن جمال الحياة وطيب معانيها إلا يوم أن بعدت نفوسهم عن سيرته الرائعة وعن هديه، فصاروا يركضون وراء كل من أوتى ظاهرًا من الحياة الدنيا، يخلعون عليه لباس العظمة والبهاء باسمه وقوله وشخصه زعما وزوراا فكم من صفيق وجه صفقوا له، وكتبوا عنه الأسفار، وتناقلوا أقواله! وكم من سفيهِ نصبوه إمامًا يقتدى به، فأضحى الذي أملوه سرابًا بقيعة وأضغاث أحلام! فالبعد عن سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم والاهتداء بغيره هو مستنقع الجهل وهوة الضلال وحياة الشقاء، وطاعته هداية وسعادة وفوز(١).

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت رسول الله تتجهموه بالكلام، وتغلظون له في الخطاب، ولا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضًا: يا

محمد، يا محمد، يا نبي الله، يا نبي الله، يا رسول الله. نهاهم الله أن ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا وأمرهم أن يشرفوه ويعظموه، ويدعوه إذا دعوه باسم النبوة (٢).

«فذمهم الله بعدم العقل؛ حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله واحترامه، كما أن من العقل وعلامته استعمال الأدب»(٣).

⁽١) انظر: موسوعة الأخلاق، خالد الخراز، ١٣٧/١.



⁽٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ٢٢/ ٢٧٧.

⁽٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٩٩٧.

الأثار المترتبة على إهمال العقل

زودنا الله سبحانه وتعالى بالعقل، كي نعبده حق العبادة ونميز به بين الحق والباطل، وبين ما ينفعنا وما يضرنا، ولم يتركنا هملا كالحيوانات، ولم يعط أحدًا منا عذرًا حين يعطل عقله، بل منع من تناول أي نوع من الأطعمة أو الأشربة التي تجعل العقل في غيبوبة عن العالم الذي حوله، أو تؤدي إلى ضرر في عقله أو صحته، فيمتنع عن العبادة، لكن بعض الأشخاص لم يستعملوا عقولهم في التفكر والتدبر في الآيات الكونية كما أمرنا الله تعالى، بل كانوا كالأنعام بل هم أصل سبيلًا بتقليدهم لآبائهم أو لكبرائهم في الكفر.

قال تعالى: ﴿ ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآتِ عِندَ ٱللَّهِ اللَّهُمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّا اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا الل

إن شر ما دب على الأرض من خلق الله عند الله، الذين يصمون عن الحق لثلا يستمعوه، فيعتبروا به ويتعظوا به، وينكصون عن الله عنه إن نطقوا به، الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه، فيستعملوا بهما أبدانهم (١٠).

إلا أنه زاد في هذا وصف العمى وكل هذه

(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان،

. 4 . . /0

الأوصاف كناية عن انتفاء قبولهم للإيمان وإعراضهم عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وظاهر هذه الأخبار العموم (٢).

"إن شر الناس عند الله الصم عن الهدى البكم، يعني: الخرس الذين لا يتكلمون بخير، الذين لا يعقلون الإيمان» (٣).

«سماهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم»(٤).

«قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكُنْهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَمْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّاكَا لَأَنْهُمْ بَلْ هُمْ أَضَلُ سَهِيلًا ﴿ اللهِ قان: ٤٤].

«أي: ما هم إلا كالأنعام، جعلهم كالأنعام؛ لأنهم لم يدركوا طريق الحق، ولم ينتفعوا بما ميزهم الله به عن البهائم من عقولهم وأسماعهم وأبصارهم»(٥).

«أي: لا ينتفعون بما يعقلون» (١٦).

«لم يخلق للأنعام قلوبًا تعقل بها ولا ألسنة تنطق بها، وأعطى ذلك لهؤلاء ثم لم ينتفعوا بما جعل لهم من العقول والقلوب والألسنة والأسماع والأبصار فهم أضل من البهائم، فإن من لا يهتدي إلى الرشد وإلى الطريق مع الدليل له، أضل وأسوأ حالًا ممن

 ⁽٣) تفسير السموقندي، ٢/ ١٤.
 (٤) معالم التنزيل، البغوي، ٣٤٣/٣٤.

⁽٥) تفسير القرآن، السمعاني، ٤/ ٢٢.

⁽٦) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، ٨/ ٢٩.

⁽١) جامع البيان، الطبري، ١٣٠/ ٤٥٩.

لا يهتدي حيث لا دليل معه»(١).

«سماع قبول أو يفكرون فيما تقول فيعقلونه، أي أهم بمنزلة من لا يعقل ولا يسمع، وقيل: المعنى أنهم لما لم ينتفعوا بما يسمعون فكأنهم لم يسمعوا» (٢).

«ليس المراد أنهم لا يعقلون بل إنهم لا ينتفعون بذلك العقل» (٣).

كذلك من عطل عقله عن العمل، سيكون تابعًا لغيره ومقلدًا له، وقد نهانا الله تعالى عن الاتباع إلا لله تعالى وللرسول صلى الله عليه وسلم، فكيف بمن كان متبعًا لجاهل أو كافر فماذا سيكون مصيره؟ سيكون من أهل الضلالة والجهالة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُمُ اللَّهِ عُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ اَبَاءَنَأُ أَوَلَوْ كَاكَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ الْبَاءَةُ أَوْلَوْ كَاكَ اللَّهُ مَا كُولُو يَمْ مَلْدُونَ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَا يَهْ مَلُونَ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّالَّا اللَّهُ اللَّهُ اللّ

«أخبر تعالى عن حال المشركين إذا أمروا باتباع ما أنزل الله على رسوله، رغبوا عن ذلك واكتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، ومع هذا فآباؤهم أجهل الناس، وأشدهم ضلالا وهذه شبهة لرد الحق واهية، فهذا دليل على إعراضهم عن الحق، ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم، فلو هدوا لرشدهم، وحسن قصدهم، لكان

- (١) الأمثال في القرآن، ابن القيم ص٠٠.
- (٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣/ ٣٣.
 - (٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٤/ ٣٦ ٤.

الحق هو القصد، ومن جعل الحق قصده، ووازن بينه وبين غيره، تبين له الحق قطعًا، واتبعه إن كان منصفًا»(٤).

«الآية تضمنت النهي عن التقليد؛ لأن الله تعالى أنكر عليهم متابعة آبائهم، وأمر بمتابعة العقل والهدى»(٥).

«أيتبعون ما ألفوا عليه آباءهم في تقاليدهم وعاداتهم، ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا من الحق في أمور العقائد والعبادات، بل ولو تجردوا من أي دليل منطقي، وحادوا عن الصواب، وهذا يدل على ذم التقليد بدون دليل» (٢).

«ومثل الذين كفروا فيما هم فيه من الغي والضلال، والجهل وتقليد الآباء والرؤساء، كمثل الدواب السارحة التي لا تفقه شيئا مما يقال لها، فإذا نعق فيها راعيها فإنها تسمع صوته، ولكنها لا تفقه ما يقول ولا تفهمه، فهم صم عن سماع الحق، وبكم لا يتفوهون به، وعمي عن رؤية طريقه ومسلكه، لا يعقلون شيئا ولا يفهمون»(٧).

وهكذا بناء على تفسير العلماء للآية نرى حال من يقلد الآخرين دون تعقل وتمييز بين الحق والباطل، ويعطل عقله وحواسه عن الفهم والإدراك، كيف يكون كالدواب التي

⁽٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٨١.

⁽٥) التفسير البسيط، الواحدي ٣/ ٤٩٠.

⁽٦) التفسير المنير، الزحيلي، ٢/ ٧٣.

⁽V) المصدر السابق، ۲/ ۳۲.

لا تعقل، نسأل الله الهداية.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُكُمَّ تَمَالُواْ إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْفَا عَلَيْهِ عَالِمُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْفَا عَلَيْهِ عَالِمَةُ وَإِلَى أَلَوْقُولُ مَا يَعْلَمُونَ شَيْعًا وَلَا يَهْدُونَ شَيْعًا وَلَوْ اللَّهُ وَلَا يَعْدَدُونَ النَّهُ وَلَا يَعْدَدُونَ النَّهُ وَلَا يَعْدَدُونَ النَّا وَلَوْ اللَّهُ وَلَا يَعْدَدُونَ اللَّهُ وَلَا يَعْدَدُونَ اللَّهُ وَلَا يَعْدَدُونَ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا يَعْدَدُونَ اللَّهُ وَلَا يَعْدَدُونَ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ وَلَا يَعْدَدُونَ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا إِلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا يَعْدَدُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللّهُ اللّ

«أيتبعون آباءهم وإن كان آباؤهم جهالا، فنهاهم الله عن التقليد، وأمرهم بالتمسك بالحق وبالحجة»(١).

«يكفينا ما وجدنا عليه آباءنا من الدين والمنهاج أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون له، أيتبعونهم في خطئهم»(۲).

«يعني قد اكتفينا بما أخذنا عنهم من الدين ونحن لهم تبع، ولا يصح الاقتداء إلا بالعالم المهتدي الذي يبني قوله على الحجة والبرهان والدليل، وأن آباءهم ما كانوا كذلك فيصح اقتداؤهم بهم»(٣).

«تتبعون آباءكم وتقتدون بهم، وإن كنتم تعلمون أن آباءكم لا يعلمون شيئًا في أمر الدين ولا يهتدون، وإن جنتكم بأهدى مما كان عليه آباؤكم؛ يسفههم في أحلامهم في تقليدهم آباءهم، وإن ظهر عندهم أنهم على ضلال وباطل» (٤).

«ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه أن منهم

(٤) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، ٣/ ٦٣٥.

من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء أن يعترفوا بها»(٥).

وينتج عن إهمال العقل عدم إعماله آثارٌ سيئة، منها:

١. عبادة غير الله تعالى.

فصاحب العقل السليم والفطرة السليمة لا يصرف عبادته إلا لله الواحد سبحانه(٢).

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ ءَأَنَتَ فَعَلْتَ هَالَاً عَالَمُ وَعَالَهُ وَالْمَا عَالَمُ وَعَالَهُ وَالْمَا عَالَمُ اللّهُ عَالَهُ وَالْمَا اللّهُ عَالَهُ اللّهُ عَالَهُ اللّهُ عَالَهُ اللّهُ عَالُهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ

قص الله سبحانه علينا كيف أن قوم إبراهيم عليه السلام كانوا يعبدون الأصنام ثم قام بدعوتهم لعبادة الله وحده ولما لم يستجيبوا له قام بتكسير تلك الأصنام وبعد ذلك قامت بينهم مشادة فاتهموه بتكسيرها، قال إبراهيم موبخا لهم ومعلنا بشركهم على رؤوس الأشهاد، ومبيناً عدم استحقاق

⁽١) تفسير السمرقندي، ١/ ٤٢٣.

⁽٢) زاد المسير، الجوزي، ١/ ٩٤٥.

⁽٣) لباب التأويل، الخازن، ٢/ ٨٤.

⁽٥) أنوار التنزيل، البيضاوي، ٢/٢٦.

⁽٦) البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم، ميساء كمال قلجة، ص ١٣١.

آلهتهم للعبادة، فلا نفع ولا دفع، ما أضلكم وأخسر صفقتكم، وما أخسركم، أنتم وما عبدتم من دون الله، إن كنتم تعقلون عرفتم هذه الحال، فلما عدمتم العقل، وارتكبتم الجهل والضلال على بصيرة، صارت البهائم، أحسن حالًا منكم (۱).

«قبحا لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضر ولا ينفع، فتتركوا عبادته، وتعبدوا الله الذي فطر السماوات والأرض، والذي بيده النفع والضر» ().

٢. افتراء الكذب على الله.

نجد أن المشركين يشرعون في الدين من البدع والضلالات ما لم يشرعه الله تعالى، بينما من أعمل عقله فلا يتبع إلا ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية.

قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ جَعِيرَةِ وَلَا مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ جَعِيرَةِ وَلَا سَآيِبَةِ وَلَا وَصِيلَةِ وَلَا حَالِمٍ وَلَكِكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مَعْقَرُونَ عَلَى اللَّهِ ٱلْكَذِبُ وَٱكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ ٱلْكَذِبُ وَٱكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ ﴾ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ ٱلْكَذِبُ وَٱكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ ﴾ [المائدة: ١٠٣].

« ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَمْقِلُونَ ﴾ أراد بالأكثر الاتباع يعني: أن الاتباع لا تعقل أن هذا كذب وافتراء من الرؤساء على الله عز وجل (٣). «وصفهم الله سبحانه بأنهم ما قالوا ذلك

- (۱) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٥٢٦٠.
 - (۲) جامع البيان، الطبري، ۱۸/ ٤٦٤.
 - (٣) لباب التأويل، الخازن، ٢/ ٨٤.

إلا افتراء على الله وكذبًا، لا لشرع شرعه الله لهم ولا لعقل دلهم عليه، وسبحان الله العظيم ما أرك عقول هؤلاء وأضعفها! يفعلون هذه الأفاعيل التي هي محض الرقاعة ونفس الحمق، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا وهذه أفعال آبائهم وسننهم التي سنوها لهم، وصدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَا وَهُمُ لَا يَعْلَمُونَ شَيْعًا وَلَا يَقُولُ: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَاباً وَهُمُ لَا يَعْلَمُونَ شَيْعًا وَلَا يَقُولُ: ﴿ وَلُو كَانُوا جَهِلَة ضَالَين الله الله الله الله الله الله الله عنه ولا يَعْلَمُونَ شَيْعًا وَلَا يَعْلَمُونَ شَيْعًا وَلَا .

«وصفهم الله سبحانه بأنهم ما قالوا ذلك إلا افتراء على الله وكذبًا لا لشرع شرعه الله لهم، ولا لعقل دلهم الله عليه، وسبحان الله العظيم ما أرك عقول هؤلاء وأضعفها! يفعلون هذه الأفاعيل التي هي محض الرقاعة ونفس الحمق، وهذا شأن علمائهم وكبرائهم»(٥).

٣. تقليد الآباء السادة في ضلالهم.
 بينما العاقل يعلم أنه لا طاعة لمخلوق في
 معصية الخالق فلا يتبع إلا الدين الصحيح
 دين الإسلام.

⁽٤) فتح القدير، الشوكاني، ٢/ ٩٤.

⁽٥) فتح البيان، صديق خان، ٢٦/٤.

«فكيف أيها الناس تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم فتتركون ما يأمركم به ربكم، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئًا، ولا هم مصيبون حقًا، ولا مدركون رشدًا؟ وإنما يتبع المتبع ذا المعرفة بالشيء المستعمل له في نفسه، فأما الجاهل فلا يتبعه فيما هو به جاهل إلا من لا عقل له ولا تمييز(١).

«أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالًا فيتابعوهم بغير حجة؟ فكأنه نهاهم عن التقليد وأمرهم بالتمسك بالحجة»(٢).

«فاكتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، ومع هذا فآباؤهم أجهل الناس، وأشدهم ضلالًا وهذه شبهة لرد الحق واهية، فهذا دليل على إعراضهم عن الحق، ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم»(٣).

«رد عليهم، وبيان لبطلان الاعتماد في الدين على مجرد تقليد الآباء»(٤).

٤. تحريف كلام الله.

فهم بعد ما عقلوه وفهموه، يؤولونه تبعًا لأهواتهم لكن المسلم العاقل لا يحرف ولا يؤول بل يتبع ما أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من قرآن أو سنة.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ أَفَنَظُمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَيرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَمَ اللَّهِ ثُمَّ

- (١) انظر: جامع البيان، الطبري، ٣/ ٣٠٨.
 - (٢) تفسير السمرقندي، ١١٢/١.
- (٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٨١.
 - (٤) التفسير الوسيط، طنطاوي، ١/٣٤٦.

يُحَرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ () البقرة: ٧٥].

« في ذلك قو لان:

أحدهما: أنهم علماء اليهود والذين يحرفونه التوراة فيجعلون الحلال حرامًا والحرام حلالًا اتباعًا لأهوائهم وإعانة لراشيهم، وهذا قول مجاهد والسدي.

والثاني: أنهم الذين اختارهم موسى من قومه، فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا أمره وحرفوا القول في إخبارهم لقومهم، وهذا قول الربيع بن أنس وابن إسحاق»(٥٠).

"ومعنى الآية الكريمة: أفتطمعون- أيها المؤمنون- بعد أن وصفت لكم من حال اليهود ما وصفت من جحود ونكران، أن يدخلوا في الإسلام. والحال أنه كان فريق من علمائهم وأحبارهم يسمعون كلام الله ثم يميلونه عن وجهه الصحيح من بعد ما فهموه، وهم يعلمون أنهم كاذبون بهذا التحريف على الله تعالى، أو يعلمون ما يستحقه محرفه من الخزي والعذاب الأليم»(1).

«والمراد من التحريف أنهم عمدوا إلى ما سمعوه من التوراة، فجعلوا حلاله حرامًا أو نحو ذلك مما فيه موافقة لأهوائهم، كتحريفهم صفة رسول الله صلى الله عليه

⁽٥) النكت والعيون، الماوردي، ١٤٨/١.

⁽٦) التفسير الوسيط، طنطاوي، ١٧٩/١.

وسلم وإسقاط الحدود عن أشرافهم، أو سمعوا كلام الله لموسى فزادوا فيه ونقصوا، وهذا إخبار عن إصرارهم على الكفر وإنكار على من طمع في إيمانهم وحالهم هذه الحال: أي ولهم سلف حرفوا كلام الله وغيروا شرائعه وهم مقتدون بهم متبعون سبيلهم»(۱).

٥. الاستهزاء بدين الله تعالى وشعائره.

قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا لَا نَتَخِذُوا ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَكُرُ هُزُوا وَلِعِبًا مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِئنَبَ مِن فَيَلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاتًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنُّمُ مُّؤْمِنِينَ ١٠ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوْةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلِهِبَأَ ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قُومٌ لَا يَمْقِلُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ ١٥ - ٥٥].

«الكفار، إذا سمعوا الأذان استهزؤوا به. وإذا رأوهم ركعا وسجدا ضحكوا واستهزؤوا بذلك. ذلك الاستهزاء بأنهم قوم لا يعقلون يعني: لا يعلمون ثوابه»(٢).

«قال الكلبي: كان إذا أذن المؤذن وقام المسلمون إلى الصلاة قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا، وكانوا يضحكون إذا ركع المسلمون وسجدوا وقالوا في حق الأذان: لقد ابتدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الأمم، فمن أين لك صياح مثل صياح العير؟ فما أقبحه من صوت، وما أسمجه من أمر،

(۱) فتح القدير، الشوكاني، ١/٠٠١. (٢) تفسير السمرقندي، ١/١٠٤.

وقيل: إنهم كانوا إذا أذن المؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والمجون، تجهيلا لأهلها، وتنفيرا للناس عنها وعن الداعي إليها. وقيل: إنهم كانوا يرون المنادى إليها بمنزلة اللاعب الهازئ بفعلها، جهلا منهم بمنزلتها»(٣).

وكذلك ما كان عليه المشركون والكفار المخالفون للمسلمين، من قدحهم في دين المسلمين، واتخاذهم إياه هزوا ولعبًا، واحتقاره واستصغاره، خصوصًا الصلاة التي هي أظهر شعائر المسلمين، وأجل عباداتهم، إنهم إذا نادوا إليها اتخذوها هزوًا ولعبًا، وذلك لعدم عقلهم ولجهلهم العظيم، وإلا فلو كان لهم عقول لخضعوا لها، ولعلموا أنها أكبر من جميع الفضائل التي تتصف بها النفوس. فكيف تدعى لنفسك دينًا قيمًا، وأنه الدين الحق وما سواه باطل، وترضى بموالاة من اتخذه هزوًا ولعبًا، وسخر به وبأهله، من أهل الجهل والحمق؟!

وهذا فيه من التهييج على عداوتهم ما هو معلوم لكل من له أدنى مفهوم (٤).

مما سبق يجب علينا جميعًا أن نحرص على استعمال عقولنا في التقرب إلى الله تعالى، بعبادة التفكر والتدبر في آيات الله

⁽٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٦/ ٢٢٤.

⁽٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي

تعالى المنظورة والمسطورة، عسى الله تعالى أن ينفعنا بهذه العبادة، ويزداد إيماننا، ولا نترك عقولنا معطلة عن العمل فتصدأ وتتعطل حواسنا، فنضل عن سبيل الله ونتعرض لسخط الله، باتباعنا الشيطان أو نقلد الضالين المعاندين لدين الله.

نسأل الله الهدى والتقى، والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

موضوعات ذات صلة:

الآيات الكونية، التدبر، التفكر، الحكمة، الحكمة، الحوار، الغفلة